وزارة التعليـــم العـــالي والبـــحث العـــلمي

جـــامعة عـــمار ثليجي الأغـــواط

كلية العلوم الانسانية والعلوم الإسلامية والحضارة

قسم التاريخ

العنوان:

نشاط جمعية العلماء المسلمين في فرنسا

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ المغرب العربي المعاصر

من إعداد الطالبة:

✓ قمري فوزية

إشراف الأستاذ:

✓ د/ محمد علاق

السنة الجامعـــــية:

2021-2022م / 1442 - 1443هـ

شـكـر وعـرفـان

أتقدم بالشكر الخالص إلى كل أساتذة

وطاقم الإدارة

بجامعة عمار ثليجي بالأغواط

والشكر الخاص إلى أستاذي

"علاق محمد"

الذي تشرفت بإشرافه علي وتوجيهاته لي

ووقوفه بجانبي في هذا العمل

إهداء

الحمد الله وكفى والصلاة على الحبيب المصطفى واهله ومن وفى اما بعد.

الحمد الله وفقنا لتثمين هده الخطوة في مسيرتي الدراسية بمذكرتي هذه وثمرة الجهد والنجاح

إلى أمي العزيزة الغالية وإلى أبي الغالي حفظهما الله ورعاهما

وإلى كل إخوتي وأخواتي وإلى عائلتي الثانية

وإلى زوجي حفظه الله ورعاه

وفي الأخير لا يفوتني أن أعبر عن بالغ تحياتي إلى كل ما ساعدني من قريب أو من بعيد

في إنجاز هذه المذكرة

وأسأل الله أن يجعلها نبراسا لكل طالب علم

قمري فوزية

مقدمة

مقدمة:

مع مطلع القرن 20 بدأت وفود من الشباب الجزائري تطلع على مختلف أنواع المقاومات التي تناطح المستعمر غير التي ألفها أجدادهم من المواجهات العسكرية والكر والفر فمع وجود المستعمر كأمر واقع حتم على قلوب الجزائريين تطلع النخبة الى محاولة إصلاح ما يمكن إصلاحه من الشخصية الإسلامية والامتداد العربي والقيم الحضارية أمام محاولة طمس معالم الشخصية والهوية الوطنية ، فظهرت حركات عديدة وشخصيات تدعو لذلك منها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أو كما يسميها الأستاذ محمد الهادي الحسني خير جمعية أخرجت للناس ومن أبرز الجمعيات التي ظهرت في النصف الأول من القرن العشرين لعبت دورا كبيرا في الحفاظ على الشخصية الإسلامية الجزائرية من خلال الأهداف والبرامج التي رسمتها منذ تأسيسها سنة 1931 م إذ أن نشاطها كان على علاقة مباشرة بالواقع الثقافي والاجتماعي والاقتصادي وحتى السياسي الذي كان يعيشه المواطن الجزائري.

فماهية مجالات وميادين عمل الجمعية؟ وما هي أبرز القضايا التي اهتمتبها؟ وإلى أي مدى استطاعت تحقيق أهدافها وانتشال الشعب الجزائري من الواقع الذي كان يعيشه؟ وما هو موقف الفرنسيين نخبة وسلطة من هذه الأعمال والنشاطات؟

وعليه فإن اختياري للموضوع يعود لعدة أسباب أوجزها في ثلاثة أسباب:

- الأهمية البالغة التي يكتسبها موضوع نشاط العلماء بفرنسا والأعمال التي قامت بها جمعية العلماْء خدمة للدين والوطن.
- الموضوع لم يحظى بدراسات كافية من طرف الباحثين نظرا لأهميته في معرفة مقدمته الجمعية من جهود.
- وجود مادة علمية معتبرة متناثرة مما شجعني على دراسة الموضوع.

أما بالنسبة للصعوبات التي واجهتني في دراسة الموضوع من بينها الصعوبة في الحصول على بعض المصادر وتوفر معظمها باللغة الفرنسية وغير مترجمة.

وخلال معالجتي للموضوع حاولت أن أجيب على عدت تساؤلات تفرض نفسها على الباحث من بينها أسباب ودوافع وأهداف الجمعية. ومجالات وميادين عمل الجمعية وأهم نشاطاتها وأثرها في الجاليات العربية والإسلامية وموقف الفرنسيين نخبة وسلطة من هاته النشطات.

ولإنجاز البحث ارتأيت تقسيمه إلى مقدمة وأربعة فصول وخاتمة.

تناولت في الفصل الأول تأسيس الجمعية وأهدافها ومبادئها والمجالات والوسائل التي استعانت بها الجمعية لتحقيق أهدافها.

أما بالنسبة للفصل الثاني فقد تحدثت عن جهود الجمعية قبيل الحرب العالمية الثانية وأثنائها.

أما الفصل الثالث فتناولت فيه نشاط جمعية العلماء المسلمين بعد الحرب العالمية الثانية (1946-1952م)

وأما الفصل الرابع فقد تحدثت فيه عن نشاط الجمعية وردود الفعل المختلفة.

أما بالنسبة للمناهج المعتمدة:

المنهج التاريخي المعتمد على دراسة الظاهرة التاريخية بصفة مجردة وبكل موضوعية ونزاهة تفضي الى استخلاص المقدمات والنتائج حتى يسهل الاستنتاج فيما بعد باعتبار الجمعية مكونا سيكون له تأثير على المسار التاريخي فيما بعد.

- أما المنهج الوصفي فقد كان وصفا دقيقا للأحداث المتوالية التي سبقت تأسيس الجمعية والظروف المحيطة بذلك وجهود الشخصيات وسيرهم والصراع المحتدم ثقافيا واجتماعيا وسياسيا داخل الجزائر وخارجها بين مختلف الأطياف معمرين أو جزائريين.

- أما التحليل فكان له النصيب الأوفر من الدراسة اذ خلصنا بفضله الى نتائج جوهرية حول مدى النشاط الذي لعبته الجمعية في أرض المهجر لمساندة القضية الجزائرية والحفاظ على الهوية الوطنية.

الفصل الأول

تأسيس الجمعية وأهدافها ومبادئها والمجالات والوسائل التي استعانت بها الجمعية لتحقيق أهدافها

أولا: تأسيس الجمعية:

برزت الجمعية إلى الوجود كحركة إسلامية ذات جدور اجتماعية قوية وذلك في إطار الصحوة الإسلامية وحركات التحرر العربية فقد ظهرت في الوقت الذي تكاثر فيه الحديث عن اندماج الجزائر في فرنسا والدعوة لتخلي عن الهوية الإسلامية للحصول على الجنسية الفرنسية [1]، حيث جاء المرجع فيها العودة الى نصوص الدين من كتاب الله، وصحيح السنة، واجماع السلف[2]، وعشية الحرب العالمية الأولى غادر الجزائر جماعة من العلماء الشبان إلى تونس والمغرب والحجاز ومصر والشام بغية الحصول على الثقافة العربية والإسلامية حيث معاهد العلم الكبرى بعد أن حوصرت منابع العلم الأصلية من طرف الإدارة والاستعمارية وبعد عودتهم إلى الجزائر عملوا على نشر الجرائد المختصة في تناول نهضة الجزائر الثقافية وهذا لإصلاح الديني وتحقيق الوحدة الإسلامية والعربية. وكنتيجة للشعور بضرورة وحدة العلماء في أعمالها كما كان ذلك في مقاصدهم فقد ظهر سنة 1924م تنظيم يسمى الإخاء العلمي والذي كان يهدف إلى توحيد صفوف العلماء المسلمين الجزائريين، على أن الهدف الأسمى لمجموع العلماء كان إنشاء جمعية إسلامية تقوم بمهمة إعادة بعث التراث العربي الإسلامي في الجزائر والدعوة إلى التمسك به ولعب الشيخ عبد الحميد بن باديس دورا بارزا في الترويج لهذه الفكرة التي تجسدت بالفعل في 05 ماي 1931. [3]

يقول الشيخ البشير الإبراهيمي عن ميلاد الجمعية ما يلي تكونت في شكلها القانوني أوسط عام 1931 ميلادية وكأن الله جعلها للاستعمار فقد كان نشوان بخمرة الفرح مائة سنة على استقراره في الجزائر وقد قضى السنة التي قبلها في مهرجانات دعا إليها العالم فما يلي إلا قليل فما

[1] عمار بوحوش ، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962 ، دار الغرب الاسلامي ، ط 2 ، 2005 ، ص244 – 245.

[2] محمد البشير الابراهيمي ، عيون البصائر 02 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ص 323 .

[3] الجلالي صاري ومحفوظ قداش ، الجزائر في التاريخ ، المقاومة السياسية 1900-1954 ، الطريق الاصلاحي والثرة ، ترجكة عبد القادر بن حراث ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1987 م ، ص 24 .

دخلت السنة الثانية حتى فوجئ بتكوين جمعية العلماء في غمرة من ابتهاج الأمة بهذا المولود الجديد.

وقد ضمت 72عالما جاءوا من مختلف انحاء القطر ومن مختلف الاتجاهات الدينية حيث الاجتماع بنادي الترقي وانتخب الشيخ عبد الحميد بن باديس رئيسا للجمعية في غيابه وفي هذا الصدد يقول بن باديس ... لكنكم بتواضعكم وسلامة صدوركم وسمو أنظاركم جئتم بخلاف اعتقادي في الأمرين فانتخبتموني وأنا غائب كما أنتخب الشيخ البشير الإبراهيمي نائبا للرئيس بالإضافة الى نخبة من رجال الإصلاح أمثال الأمين العمودي (أمينا عاما) الطيب العقبي (الأمين العام المساعد)والشيخ مبارك الميلي (أمين المال)والشيخ إبراهيم بيوض(نائب أمين المال) .[1]

ثانيا: اهداف الجمعية:

لقد أعلنت الجمعية في بيان تكوينها أنها جمعية ثقافية وغير مهتمة بالشؤون السياسية وهذا ما نلاحظه عند تصفحنا للقانون الأساسي للجمعية وهو الشيء الذي يجعلنا ندرك عمق الفهم الذي كان عليه مؤسسها الأوائل وحسن تقديرهم ومعرفتهم لحقيقة وغاية الإدارة الاستعمارية فلقد أصرت الجمعية من أول يوم على أن تنادي بنفسها عن السياسة مع الإدارة الفرنسية وأن تنصرف إلى تربية الشعب الجزائري فقد كان زعماء الجمعية يرددون أن مهامها العمل على إصلاح المجتمع وتقويمه في إطار ديني اجتماعي أما السياسة فهي من غير اختصاصها على حد تعبير الرئيس الثاني للجمعية الشيخ البشير الإبراهيمي في مقال نشرته صحيفة البصائر ونشره عبد الرحمان بن العقون ومما جاء فيه لجمعية العلماء أعمال ومواقف ولها أعمال في ميدان الديني لا يتطرق إليها التبديل والتغير لأن المرجع فيها نصوص الدين ولها أعمال في ميدان التعليم العربي ولا يعتريها الفتور ولا النكوص ولا التراجع ولها في الحياة السياسية والاجتماعية للأمة الجزائرية آراء محصتها التجربة

[1] رابح تركي، التعليم القومي والشخصية الجزائرية بين 1931-1956، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981، ص39.

وأيدها المنطق لم تراع فيها إلا المصلحة المحققة أو الراجحة و لم تبال في مواقفها بمن طار وبمن وقع، ولجمعية العلماء أضداد وخصوم ومن أعداء الجمعية الاستعمار وأنصاره.[1]

ولعل أهم تعبير عن أهداف الجمعية ومبادئها ما جاء على لسان الشيخ عبد الحميد بن باديس وأوردته مجلة الشهاب سنة 1937م حين قال العروبة والإسلام والعلم والفضيلة هذه أركان لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي هيا مبعث حياتنا ورمز نهضتنا فما زالت هذه الجمعية كما كانت تفقهنا في الدين وتنيرنا بالعلم وتخلقنا بالأخلاق الإسلامية العالية والفضيلة وتحفظ علينا جنسيتنا وقوميتنا وتربطنا بوطنيتنا العربية والإسلامية.

كما لخص الشيخ الإبراهيمي أهداف الجمعية بقوله إن جمعية العلماء تعمل للإسلام بإصلاح عقائده وتطالب بحرية التعليم تدافع عن الذاتية الجزائرية التي هيا عبارة عن العروبة ولإسلام مجتمعين في وطن.[2]

ثالثا: مبادئ الجمعية:

- إحياء الدين الإسلامي وتطهيره من الشوائب التي علقت به
- تطوير الثقافة العربية والإسلامية
- توحيد أبناء الشعب الجزائري تحت راية العروبة والإسلام
- توعية الشباب الجزائري بالشخصية الجزائرية وتهيئته للنضال في المستقبل
- إقامة جسور للتعاون بين وتهيئته العربية الإسلامية
- الدعوة إلى توحيد العمل المشترك مع أبناء تونس والمغرب
- نشر تعليم عربي مستوحى من الوحدة العربية الإسلامية.[3]

[1] بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1989، ج1، دار المعرفة، 2006، ص 399 .

[2] احمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين واثرها الاصلاحي في الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985، ص 101-102 .

[3] عمار بوحوش، مرجع سابق، ص 264.

رابعا: مجالات عمل الجمعية:

من أجل تحقيق الأهداف التي رسمتها الجمعية لنفسها وضعت برنامجا ومنهاج عمل يعتمد على مجموعة من الأسس لخصها الأستاذ أحمد مريوش في النقاط التالية:

- الاعتماد على القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والسلف الصالح وتلك هي المرجعيات الأساسية في سياسة الإصلاح الذي تبنته الجمعية.
- مخاطبة العقل والدعوة للحداثة ومحاربة الجمود والتصدي للطرقية والخرافات والبدعة التي عششت في عقلية الجزائريين
- الاعتماد على المرحلية في المنهج الإصلاحي وكذا التعايش مع الطرف الآخر بغرض تثمين الذات الوطنية واستعادة ما سلب منها ونبذ الخلاف لرسم معالم التوجه الجديد.
- توظيف الكيف لضمان الاستمرارية في الحقل البنائي لحركية المجتمع المعاصر.

وفي العموم فقد اتخذت الجمعية شعارا لها الجزائر وطننا العربية لغتنا الإسلام ديننا وهي تشكل المحاور الكبرى لبرنامج عملها والقضايا التي اهتمت بها المنبثقة أساسا من واقع المجتمع الجزائري في ظل الاستعمار الفرنسي وسياساته المنتهجة في جميع المجالات ويمكن تلخيصها هذه كما يلي:

1- المجال الديني:

إدراكا من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين للأهمية في حياة الأفراد جعلها تتخذها كانطلاقه لمشروعها التغيير ولإصلاحي وتركز معظم أعمالها عليها لتحقق بها الإصلاح الفعال الذي يقوم على أولوية البناء الداخلي الذي يتوقف صلاحه على صلاح العقيدة التي تملأه ويتمثل المنهج الذي اعتمدته الجمعية في تغيير نفس الإنسان الجزائري بتخليصه من ركام الأفكار والتصورات الخاطئة التي تدفعه إلى الركود والانحراف كما يلي:

1-1تطهير الإسلام مما علق به من الشرك والبدع والخرافات:

إن الإصلاح ينبغي أن يبدأ من الدين بتنقيته من الخرافات والبدع التي طمست على عقول المسلمين وكانت سببا في تأخرهم ولقد كان الجزائريون في زمن الجمعية يعتقدون اعتقادات فاسدة كالتبرك بأضرحة الأولياء والاعتقاد في قدرتهم ادعاء قدسية شيوخ الطرق والرقص والتهتك في الاحتفالات المبتدعة واختراع أذكار محرفة وقربات مخالفة للكتاب والسنة بلغت بهم إلى درجة الوثنية التي وصفها المبارك الميلي بالجاهلية الحاضرة بعد الجاهلية عصر الوحي بل أنه ذهب إلى أبعد من ذلك في الوصف فقال إنه لا فرق بينهما في الجهل بما ينافي التوحيد ولا في الابتلاء بالمبتدعين والدجالين ولا في التبرك بالآثار احتماء من الأقدار ولا في التقرب من المرشدين والأخبار .[1]

ولقد أدركت الجمعية خطورة الوضع الذي بلغه المجتمع الجزائري من جراء الانحرافات الكثيرة التي نسبت إلى الدين وتركت آثار سيئة للغاية في المجتمع الجزائري فكانت الدعوة إلى العودة إلى الإسلام الصحيح المستمد من القرآن الكريم والسنة المطهرة.

وفي سبيل تحقيق هذا الهدف ألف الشيخ مبارك الميلي كتاب رسالة الشرك المطهرة ومظاهره كما تولى ابن باديس تأليف كتاب العقائد الإسلامية وقد جاء في أصول هذه الدعوة مانصه فكل شرك في الاعتقاد أوفي القول أو في العمل فهو باطل بناء القباب على القبور وقد سرج عليها والذبح عندها لأجلها والاستغاثة بأهلها ضلال في أعمال الجاهلية والإصلاح هنا لم يكن بتعليم عقيدة جديدة إنما بتطهير ما هو كائن وتجديد فعاليته في المجتمع كما يقول مالك بن نبي أن المشكلة لا تكمن في تعليم المسلم عقيدة هو يملكها وإنما المهم أن نرد إلى هذه العقيدة فاعليتها وقوتها الإنجابية وتأثيرها الاجتماعي.[2]

---

[1] احمد مريوش ، محاضرات في تاريخ الجزائر ، 1900-1954 ،مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع ، ج2 ، ط1 ، 2013 ، ص222 .

[2] مالك بن نبي ، وجهت العلم الاسلامي ، ترجمة عبد الصبور شاهين ، دار الفكر الجزائر دمشق ، ط5 ، 1986 ، ص 54.

1-2 محاربة الزوايا والطرقية المنحرفة:

قاومت الجمعية الطرقية الضالة التي كانت أداة طيعة للاستعمار خصوصا أن المخططين لها من كبار فلاسفة الاستعمار ومفكريه هذا ما جعلهم يطلقون شعارات باطلة منها من لم يكن له شيخ فشيخه الشيطان الأمر الذي جعل العلماء المصلحين يشرحون للرأي العام زيف الترهات والأباطيل المنافية للإسلام ويكشفون للناس تواطؤ بعض أولئك الرؤساء والشيوخ مع حكام الاستعمار أعداء الإسلام وخصوم كل نهضة ويقظة وتقدم.[1]

وكان رد بن باديس والإبراهيمي أن هذا البلاء المنصب على الشعب المسكين آت من جهتين متعاونتين عليه استعمار مادي وهو الاستعمار الفرنسي واستعمار روحاني يمثله مشايخ الطرق المؤثرون في الشعب أو المتاجرون باسم الدين المتعاونون مع الاستعمار عن رضى وطواعية.

وتحت عنوان لماذا حاربت الشهاب الطرقية؟ علق ابن باديس حاربنا الطرقية لما عرفنا فيها علم الله من بلاء على الأمة من الداخل والخارج فعملنا على كشفها وهدمها مهما تحملنا في ذلك من صعاب ورغم أن هذه الحرب لم ترق للطرقيين إلا أن كثيرا رحبو بها أمثال مالك بن نبي الذي أيد الجمعية في هذا الجانب.

1-3 محاربة حركة التبشير المسيحي:

يعد التبشير سبيلا للسيطرة السياسية والروحية لذا حاولت فرنسا القضاء على كل ماليس نصرانيا لإظهار النصرانية في مظهر الديانة الإنسانية وهذا ما يعلل تحاملها على الدين الإسلامي الذي تعتبره خطرا عليها لذلك على إتباع كل السبل للحد من انتشاره وكانت الجمعية تنظر إلى التبشير على انه نتيجة من نتائج التعصب المسيحي المسلح ومولود من مواليد القوة الطاغية التي تسمى كل ما ترضى عنه من الأعمال المنكرة حرية الدين أو حرية الفكر وأنه أداة من أدوات

[1] محمد الصالح رمضان ، جمعية العلماء ودورها العقائدي والاجتماعي والثقافي ، مجلة الثقافة ، عدد 83 ، سبتمبر / اكتوبر 1984 ، ص 362 .

الساسة في ثوب ديني وكانت الجمعية ترى أنه من المعقول أن يثمر التبشير في بلد كالجزائر لتوفر الظروف المواتية لذلك فعملت الجمعية على القضاء على هذه الحركة ومقاومتها عن طريق المحاضرات والدروس العامة ومن خلال تعليمها للشعب الجزائري قيمة دينهم وضرورة التمسك به وبأنه جزء مهم في هويتهم وشخصيتهم التي لا تقوم إلا على المبادئ التي تنادي بها الجمعية الإسلام ديننا والعروبة لغتنا والجزائر وطننا، ونجحت في ذلك إلى حد بعيد فلم تتمكن الحركة التبشيرية من تحقيق مرادها أمام تصلب الجزائري في دينه مهما بلغت به العامية والأمية والفقر .[1]

1-4 المطالبة بفصل الدين عن الدولة:

أدركت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بأنه لا يمكن المحافظة على الشخصية العربية الإسلامية طالما أن مساجد المسلمين وأوقافهم تستغلها الحكومة الفرنسية فكانت المطالبة بتطبيق قانون فصل الدين على الدولة قد بينت الجمعية مقاصدها من خلال تقديمها لتقرير يتعلق بالشؤون الدينية جاء بعبارة نحن باسم الدين وباسم الأمة نتمسك بفضل الدين الإسلامي عن الحكومة الفرنسية نريد تطبيقه على الكيفية الأتية:

-فصل الدين الإسلامي عن الحكومة فضلا حقيقا بحيث لا يتدخل في شيء من شؤونه لا ظاهرا ولا باطنا لا في أصوله ولافي فروعه.

-تسليم ذلك كله إلى أيدي الأمة الإسلامية صاحبة الحق المطلق فيه تعزيز سلطتهم على أمور دينهم تقريرا فعليا خالصة لا التواء فيه.[2]

2- المجال الثقافي الاجتماعي:

يمكننا اختصار الدور الثقافي والاجتماعي الذي قامت به الجمعية من أجل إخراج الشعب الجزائري من الوضعية كان يعيش فيها في النقاط التالية:

---

[1] نصر الجويلي ، جمعية العلماء المسلمين بين الدين والسياسة ، المجلة التاريخية المغربية ، العدد 15 ، تونس ، جـــوان 1988 ،ص109 .

[2] احمد الخطيب ، جمعية العلماء المسلمين واثرها الاصلاحي في الجزائر ، مرجع سابق ، ص 173 .

– مقاومة الأمية وتربية وتعليم الناشئة أدركت الجمعية أن التعليم هو السبيل إلى التحرر فالأمة الجاهلة لا يمكنها الحصول على الاستقلال ولا المحافظة عليه ولأجل ذلك انطلقت الجمعية في نشر التعليم في سبيل الوصول إلى القضاء على الجهل ونشر الوعي الصحيح من خلال تأسيس المدارس العربية الحرة التي فاق مجموعها حسب الشيخ البشير الإبراهيمي 140 مدرسة احتضنت نحو 50.000 تلميذ من الذكور والبنات وبلغ مجموع معلميها نحو 400 معلم.

– نشر الوعي الديني والاجتماعي والثقافة أوساط الشبيبة والعمال وعامة الناس بواسطة الجرائد والمجلات وتنشيط مئات الجمعيات العلمية والخيرية والدينية والرياضية وعشرات النوادي.

– محاربة الآفات الاجتماعية كتعاطي المخدرات ولعب القمار وغيرها

– الاهتمام بالطفولة فقد حاول دعاة الإصلاح من رجال الجمعية الإلمام بما هو يخص المجتمع واهتموا بالطفولة والأرمل والأيتام ولذلك حاولوا أن يؤسسوا هذه الجمعية التي تهتم برعاية الأطفال والجمعيات الخيرية لإنقاذ الطفولة من التشرد والضياع لأن الإسلام قد أعطى أهمية بالغة لهذه الشريحة من المجتمع والاهتمام بها.[1]

–الاهتمام بالمرأة من خلال التوعية المسجدية والتعليم الذي شمل في سنة1952 م نحو13.000 بنت في مدارس الجمعية فقد كانت المرأة المسلمة في الجزائر قبل ظهور الحركة الإصلاحية تعاني الجمود والركود والجهل والحرمان بسبب العادات والتقاليد الفاسدة والفهم الخاطئ للدين الإسلامي وتشير الجمعية إلى الدور المهم الذي تلعبه المرأة في الأمة الواحدة فترى أن الأمة كالطائرة لا تطير إلا بجناحين وجناحاها هما الرجل والمرأة لا يمكن أن تطير إلا بهما ومن ثم فإن الأمة التي تقصر التعليم على الرجل دون المرأة ستكون نهايتها السقوط لا محالة.

[1] الزبير بن رحال ، عبد الحميد بن باديس ، رائد النهضة العلمية والفكرية 1989-1940 ، دار الهدى ، الجزائر ، 1997 ، ص 63.

3- المجال الاقتصادي:

إذا كانت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين قد ركزت عملها على الجانب الثقافي والاجتماعي فليس معناه أنها كانت بعيدة عن واقعه الاقتصادي فقد طالبت السلطات الاستعمارية العدالة من حيث الأجر ووقت العمل بين الجزائريين والفرنسيين أثناء العمل بالإضافة إلى إلغاء كل القوانيين التي تعيق المواطن الجزائري من أجل خدمة أرض وتجسدت هذه المطالب في:

-تساوي الأجور إذ تساوي العمل

-تساوي الرتبة إذ تساوي الكفاءة

-توزيع إعانات الميزانية الجزائرية للفلاحة صناعة تجارة

-السماح بتكوين جمعيات تعاونية فلاحية ومراكز التعليم الفلاحي

-الإقلاع عن انتزاع ملكية الأرض من الجزائريين

-توزيع أراضي البور الشاسعة على صغار الفلاحين وعمال الفلاحة

-المطالبة بإلغاء قانون الغابات.[1]

ومن مظاهر اهتمام جمعيك العلماء المسلمين بهذا الجانب أقدمت على تأسيس العديد من الجمعيات المهنية كجمعية التجار المسلمين التي أسستها الجمعية بقسنطينة والجمعية الاقتصادية وذلك لتحقيق الاستقلالية الاقتصادية للشعب الجزائري وإنعاش مصادر رزقه وعيشه حتى لا يحتاج لفرنسا وذلك لأن فرنسا كانت تستغل الفقر لابتزاز الشعب ومعظم التجار كانوا من اليهود .

- محاولة تأسيس البنك الإسلامي الجزائري كانت هناك محاولات لتأسيس هذا البنك من طرف كبار تجار العاصمة من بينهم السيد محمد عباس التركي حيث دخلت جماعته في مفاوضات مع السلطة الفرنسية من أجل الحصول على الاعتماد لهذه المؤسسة المالية لكن السلطات

[1] رابح تركي ، الشيخ عبد الحميد بن باديس ، رائد الاصلاح الاسلامي والتربية في الجزائر ، المؤسسة الوطنية للاتصال النشر والاشهار ، ط 5 ، 2001 ، ص 108 .

الاستعمارية عارضت فكرة المشروع ورفضت بشدة معتبرة إياه شيء يميز الهوية الإسلامية وهي لا تريد بأي شكل من الأشكال للمظاهر الإسلامية أن تظهر.[1]

– جمعية الزكاة اجتهد العلماء في إعادة الاعتبار لممارسة الزكاة المنتظمة التي طالما أهملها الجزائريون وهذا أملا في أن يستفاد منها لتحسين الاقتصاد العام في الجزائر حيث تمكنت الجمعية من جمع أموال الزكاة أنفقتها في وجوهها الشرعية لكن تماطل بعض من يملك أموال الزكاة في دفعها ورؤيتهم على أن كل واحد يدفعها بنفسه أدى إلى تعطل المشروع إن دعوة العلماء من أجل أداء الزكاة في حينها تهدف إلى ترقية التضامن الاجتماعي والاجتماعي في صلب الأمة حيث كان التضامن بالنسبة أمر مستعجلا لاسيما وأن النظام الاستعماري لم يكن يظهر كبير عناية للتحرر الاقتصادي للشعب الجزائري في سنة 1936م برزت الجمعية ككتلة سياسية متماسكة بعدما شاركت في المؤتمر الإسلامي وهو أول مؤتمر يحاول أن يخرج بكلمة وطنية موحدة يواجه بها حكومة الجبهة الشعبية في فرنسا وألقى فيه الشيخ عبد الحميد بن باديس خطايا أكد فيه مبادئ الجمعية مع ضرورة إعطاء حقوق الجزائري ينوب انعقاد المؤتمر الإسلامي يوم 07جوان 1937م في الجزائر والذي تزعمته جمعية العلماء باقتراح من رئيسها الشيخ عبد الحميد بن باديس حيث رأى أنه إنجاز أكثر واقعية وأكثر عملية للاتحاد والتنظيم المنشودين وقد لخص مطالب المؤتمر في وثيقة أعطى لها عنوان الميثاق المطلبي للشعب الجزائري المسلم ، لقد ظهر مؤتمر الجمعية بمثابة قوة سياسية ومعنوية هامة في الساحة الوطنية فمن خلال خطبهم ومشاركتهم الفعالة في لجنته التنفيذية ووفده الذي سافر إلى باريس اعتبروا الممثل الأكثر أهلية للأمة الجزائرية فقد أظهر المؤتمر الجمعية كأنها الممثل الشرعي والشعبي والمؤسساتي الوحيد التي تتكلم باسم الأمة الجزائرية وتمثل جميع مطالبها الدينية والسياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية ، رغم كل ما سبق نجد أن علي مراد يؤكد أن المذهب الإصلاحي الجزائري لم يول العناية اللازمة لمشاكل الاقتصادي العينية للأوجه

[1] احمد توفيق المدني ، حياة كفاح (مذكرات) ، دار البصائر للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ج2 ، 2009 ، ص 177 .

المختلفة لاستثمار رؤوس الأموال فلم يتمكن ابن باديس وأصحابه إما بدافع الحذر أو لانعدام مذهب مبلور كما ينبغي في هذا المجال من إرضاء أتباعهم الأوفياء ويؤكد أن الإصلاحيين لم يكونوا ميالين للجانب الاقتصادي ذلك أن النزعة الأخلاقية كانت تطغى عليهم ولكن في المقابل كانوا يشجعون المبادرات الفردية في هذا الجانب ويدعمونها.[1]

4- المجال السياسي:

رغم أن القانون الأساسي للجمعية يؤكد أنها لا تخوض في الأمور السياسية كما ذكرنا سابقا إلا أن هذا لا يعني أنه ليس لها مواقف أو جهات نظر في هذا الجانب بدليل:

- مقاومة سياسة التجنيس يحدثنا الشيخ البشير الإبراهيمي عن حرب جمعية العلماء بقيادة ابن باديس لسياسة التجنيس والاندماج وكيف واصلت هذه الحرب حتى قضت عليها فيقول حاربت جمعية العلماء سياسة الإدماج في جميع مظاهرها فقاومت التجنيس ونازلت أنصاره حتى قهرتهم وأخرستهم وقطعت عليهم الحبل في أيديهم ثم أفتت فتواها الجريئة فيه يوم كانت الجرأة في مثل هذه المسائل بابا من العذاب فكان ذلك منها تحديا للاستعمار وابطالا لكيده وتعطيلا لسحره وأثبتت بتلك المواقف للجزائر إسلاميتها.[2]

- مقاومة الإدماج جعل الشيخ ابن باديس من دروسه ومقلاته في جرائد الجمعية وسائل المحاربة الفرنسة والاندماج وقد عبر عن رفضه لسياسية الإدماج في جريدة الشهاب يقول إن هذه الأمة الجزائرية الإسلامية ليست هيا فرنسا ولا تريد أن تصير فرنسا ولا تستطيع أن تصير فرنست ولو أرادت بل هيا أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد في لغتها وفي أخلاقها وفي عنصرها وفي دينها لاتريد أن تندمج ولها وطن محدود معين هو الوطن الجزائري.

[1] علي مراد ، الحركة الاصلاحية الاسلامية في الجزائر ، دار الحكمة للطباعة والنشر والترجمة ، الجزائر ، 2007 ، ص 400.

[2] رابح تركي ، الشيخ عبد الحميد بن باديس ، رائد الاصلاح الاسلامي والتربية في الجزائر ، مرجع سابق ، ص438 .

كما نددت الجمعية بالحكم الاستعماري وممارسته الظالمة بالإضافة إلى المطالبة بحق الجزائريين كافة في الانتخاب كما كانت تسعى لتحقيق الوحدتين العربية والإسلامية وتبني قضاياهم وفي مقدمتها قضية فلسطين كما تجاوزت الجمعية كل هذه المطالب والرفع من سقفها بالمطالبة بالاستقلال ولو بطريقة غير مباشرة حيث صرح بذلك ابن باديس سنة 1936م أمام جمع من الأنصار قائلا وهل يمكن من شرع في تشييد منزل أن يتركه بدون سقف؟ وما غايتنا من عملنا إلا تحقيق الاستقلال لكن للأسف نجد من يشكك في هذه الحقيقة أو ينكرها من المناهضين للجمعية وفكرها

لقد كانت دعوة ابن باديس صريحة في التخطيط لانتشال الأمة الجزائرية من الوضعية المزرية التي آلت إليها من جراء معاول الهدم الاستعمارية التي فرضت عليها فنجد في جريدة الشهاب نصائح يعطيها الشيخ للجزائريين وهيا نصائح متعددة الأهداف تسعى لترقية الأمة الجزائرية ما أحوجنا للعمل بها في وقتنا الحالي.[1]

خامسا: الوسائل التي استعانت بها الجمعية لتحقيق اهدافها:

يمكن اختصارها فيما يلي:

-تأسيس المدارس والمساجد الحرة

-بعث التاريخ الوطني للإبراز انتماء الجزائر العربي الإسلامي

-تكوين الكشافة والفرق الرياضية والمسرحية وفتح النوادي

اختلفت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين اختلافا كبيرا عن الحركات الأخرى فهيا لم تكن ثورية والا موالية للفرنسيين بل كان علمائها قبل كل شيء مصلحيين وطنيين فقد أعطوا الأولوية

[1] عمار طالبي ، ابن باديس حياته وآثاره ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ج1 ، 1983 ، ص 89 .

للتعليم العربي الإسلامي وكانوا قد عارضو بشدة دمج الجزائر بفرنسا إذ أن برنامجهم كان تابعا من واقع المجتمع.[1]

[1]ابو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية 1930-1945 ، دار الغرب الاسلامي ، بـــيروت ، ج3 ، ط4 ، 1992 ، ص 406 .

الفصل الثاني

جهود الجمعية قبيل الحرب العالمية الثانية وأثنائها

أولا :الحركة الدعوية: حركة "التهذيب" بفرنسا واهتمام جمعية العلماء بها

1- إنشاء "جمعية نادي التهذيب" بباريس:

بعد أن وقف الإمام عبد الحميد ابن باديس بنفسه على أحوال المغتربين الجزائريين في فرنسا، وأدرك حجم الأخطار التي تتهددهم في عقيدتهم وأخلاقهم، رأى من أوجب واجبات الجمعية التي يرأسها أن تتولى إرشاد هذه الطائفة من أبناء الجزائر وتتولى تعليم أبنائهم اللغة العربية والدين الإسلامي حتى لا ينسلخوا عن قيمهم الدينية والوطنية ويذوبوا في الحياة الفرنسية. ولأن الأمر كان في غاية الأهمية، فقد قرر الإمام الشروع فيه على الفور، وبالفعل باشرت الجمعية عملها هذا في منتصف سنة 1936م.

اختار الإمام للقيام بهذه المهمة الشاقة، الأستاذ الفضيل الورتلاني، وكان اختياره هذا موفقا وذلك لما يتوفر في الفضيل من صفات تجعله يتحمل هذه المهمة بجدارة: كالإخلاص والوطنية، والكفاءة العالية، والعزيمة القوية، والشجاعة الأدبية، والقدرة على التنظيم، فضلا عما يتمتع به من فصاحة لسان بالعربية والقبائلية والفرنسية. وهو-إلى ذلك- أقدر تلاميذ الإمام وأمهرهم في الدعوة، إذ كان قد لازم الإمام عدة سنوات: طالبا، فمساعدا، وفي بعض الأحيان مستخلفا اما لإلقاء الدروس على طلبته، وإما للقيام بمهام الوعظ والإرشاد التي يكلفه بها الإمام علما منه بأنه خير من ينوب عنه في تأدية تلك المهام الحيوية.

نزل الفضيل بباريس، في 22جويلية1936م، كمبعوث عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في فرنسا، وشرع في الحين في الاتصال بالعمال الجزائريين في مختلف أحياء هذه المدينة الكبيرة، وكانت الخطوة الأولى هي-كما قال- :"...درس النفوس، واختبار الأفكار باستنباط من اجتمعت بهمعلى طرق مختلفة، وبلغات متعددة، ولهجات متفاوتة"[1].وعلى ضوء ما قرأه على وجوه القوم، وما استنتجه من نغماتهم، وأدركه من أمراضهم، استطاع الفضيل أن يضع خريطة لجمع

[1] مجلة الشهاب، ج9، م12، ديسمبر1936، ص461.

شتاتهم، وبرنامجا للاتصال بعقولهم،ووسائل ينفد بها إلى قلوبهم، فما إلا بضعة أيام حتى طابت قلوب عدد كبير من الناس، فأعتمد عليهم، ودعاهم حينا إلى تأسيس مشروع جدي نافع، وسرعان ما استجابوا لدعوته فكونوا أولا"جمعية نادي التهذيب" لباريس وضواحيها، وضمنوا قانونها الأساسي مادة تبيح لهم أن يؤسسوا فروعا لها في أي ناحية شاءوا، وفتح نوادي للتربية والتعليم فيها.

تابع الفضيل نشاطه المكثف بثبات وهمة عالية، فلأخذ ينتقل من مكان إلى مكان، يلقي المحاضرات، ويزور المقاهي، وينظم الفروع، ويؤسس لها مجالس إدارية محلية، ويوزع الأعمال على الأفراد إلى أن انتهى في ظرف وجيز إلى تأسيس ستة فروع وتنظيمها ماديا وأدبيا، وتهيأ نواح أخرى للتكوين فيها، وكان كل فرع من هذه الفروع بمجرد ما يتأسس يقوم بفتح نادي حينا.

تتركز النوادي الستة في باريس وضواحيها، أي حيث يتواجد الجزائريون بأعداد كبيرة، وكان مقرها الرئيس يقع في حي بيسون في الدائرة العشرين لباريس(Bisson ;20eme arrondissement, Paris 7bis Cité)، أما التوزيع الجغرافي لهذه النوادي فكان على النواحي الآتية:كليشي(Clichy)، سيان دوني(Denis-Saint)، مينيلمونطالي(Ménilmontant)، بولون(Boulogne)، بيرلاشيز(Père-Lachaise)، بلا س دي طالي(Place Itali). هذا وقد بلغ عدد النوادي التي فتحت في باريس وضواحيها خلال المرحلة التي سبقت الحرب العلمية الثانية أحد عشر ناديا [1].

يشتمل النادي عادة على قاعة للمحاضرات، وأخرى للصلاة، وحجرة أو أكثر للتعليم، إضافة إلى فضاء لالتقاء العمال وتناول المباح من المشروبات، وعليه فان النادي هو أشبه ما يكون بمؤسسة شاملة، يلتقي فيه الناس للتعارف والتضامن، وتلقي العلم، وأداء شعائر الإسلام. وكانت نوادي العلماء في فرنسا لا تتلقى أي إعانة من السلطات الفرنسية، لذلك كانت تعتمد في بقائها

[1] البشير الابراهيمي، البصائر، العدد 173/172، 15 أكتوبر1952،ص5.

وأداء رسالتها على ما تبذله الجالية الجزائرية من اشتراكات ومعونات مالية، وهنا ينبغي التنويه بأن غالبية أفراد هذه الجالية قد استطابوا الحركة، فأمدوها بالعون والتأييد، فكان العلماء البسطاء يتبرعون عن طيب خاطر بجزء من أجورهم الشحيحة التي حصلوا عليها بعرق الجبين في معامل وورشات الأعمال الشاقة، وكذلك أمدها بالعون معظم التجار وأصحاب المقاهي والمطاعم من المغتربين الجزائريين.

ويجدر التذكير هنا بأن حركة التهذيب هذه التي تأسست في باريس سنة1936م، إنما هي وليدة جمعية العلماء المسلمين في الجزائر، وأن الشيخ الفضيل الورتلاني الذي قام بإنشائها والدعوة إليها في باريس وضواحيها، ثم في مدن فرنسية أخرى بعد ذلك، هو معتمد جمعية العلماء هنالك، وعليه فان"جمعية العلماء المسلمين الجزائريين قد ارتبطتا ارتباط الفرع بالأصل، واتحدتا في المبدأ والغاية، واتجهتا اتجاها إسلاميا خالصا، لا يراد منه في الجزائر وفي فرنسا إلا خدمة الإسلام والعربية، والنهوض بالأمة الجزائرية وبأبنائها النازحين: دينيا وثقافيا واجتماعيا.

2- توسيع الحركة واهتمام جمعية العلماء بها:

يذكر الفضيل الورتلاني أن إبلاغ الدعوة الإصلاحية إلى الجماهير العمال في فرنسا، وإقناعهم بوجوب انضمامهم حولها لم يكن بالأمر الهين، وان أعظم صخرة اعترضت طريقه هي صخرة اليأس التي يقول: أنها صفة لا يكاد يخلو منها أحد[1]. لكن الفضيل، بعزيمته المعهودة، وإخلاصه للرسالة الملقاة على عاتقه، ورغبته الجامحة في الإصلاح والتغيير، استطاع أن يتغلب على كل العقبات، ففي مدة وجيزة استطاع أن يكون في فرنسا، أي في عقر دار المستعمر، نهضة وطنية جديرة بالإعجاب والتقدير، فقد جمع شمل الجزائريين المفرقين هنالك، وألف بينهم، وأقنع الغالبية منهم بلزوم تكوين نواد تكون أماكن لاجتماعهم، يتلقون فيها دروسا في الدين واللغة والثقافة الإسلامية.

[1] الشهاب ،مرجع سابق، ص465.

وشيئا فشيئا، نمت الحركة وتوسعت، وكثر الإقبال عليها، ولما أصبح مجهود الفرد لا يكفي لتسييرها والقيام بأعبائها، كتب الفضيل إلى جمعية العلماء يطلب منها أن تشد أزره ببعض رجالها، فأمدته الجمعية أولا بالشيخ سعيد صالحي، وهو لا يقل عن زميله الشيخ الفضيل تدينا وإخلاصا ووطنية، فالتحق الشيخ سعيد بزميله وتعاونا معا على تغذية الحركة، وواصلا العمل، وكان من نتيجة تلك الجهود التي بذلاها أن كثر عدد النوادي الجزائرية في باريس، واشتدت الرغبة في تعلم العربية. ولأن جهد الرجلين أصبح غير كاف أيضا، فقد طلب الشيخ الفضيل وزميله من الجمعية مرة أخرى أن تمدهما بأفرد آخرين منها، فأمدتهما بثلاثة من أعضائها، وهم: الشيخ محمد الصالح بن عتيق خريج الجامعة الزيتونة، والشيخ محمد الزاهي الميليخريج الزيتونة أيضا، والشيخ سعيد البيباني وهو من طلبة الإمام ابن باديس المشهود لهم بالكفاءة والذكاء[1].

وحرصا على حياة هذه الحركة، وبيان قيمتها الأدبية بفرنسا، ومدى النفع المرجو منها للأمة الجزائرية، قام الشيخ الفضيل في أواخر سنة1937م بزيارة إلى الجزائر دامت عدة شهور، التقى خلالها بالمشرفين على جمعية العلماء، وعرض عليهم خلاصة أعماله في فرنسا، وشرح لهم جديد حاجة هذه الحركة إلى الدعاة والمعلمين خاصة بعد امتداد نشاطها إلى العديد من المدن الفرنسية، فاستجابت له الجمعية فأوفدت مجموعة من الشيوخ وهم: الشيخ حمزة بوكوشة، أوفدته إلى مقاطعة الرون(Rhône) أين تأسست نوادي للتهذيب في أولان(Olins) ومونت بليزير(Mont Plaisir) وبيراش(Perrache)، والشيخ محمد علي الهاشمي إلى سانت اتيان(Saint Etienne)، والشيخ فرحات بن الدراجي إلى مرسيليا(Marseille)، وكان ذلك في مطلع سنة 1938م[2].

وخلال الفترة التي سبقت الحرب العالمية الثانية، انتدبت جمعية العلماء طائفة أخرى من معلميها لدعم حركتها بفرنسا، منهم: الربيع بوشامةتلميذ الشيخ سعيد صالحي، محمد الغسيري،

[1] البصائر، العدد64، 23أفريل1937، ص8.

[2] الفضيل الورتلاني ، بصائر، العدد49، 1جانفي1937، ص8.

محمد الهادي السنوسي، مبارك جلواح، إسماعيل العربي، الأكحل عبد القادر، البشير العياضي وغيرهم.

ثانيا :الحركة الإصلاحية:

1 – التربية والتعليم:

كانت الطريقة التي سارت عليها نوادي التهذيب في فرنسا هي تعميم التعليم حتى يشمل الكبير والصغير، لذلك كان هنالك صنفان من المتعلمين:

- **الصنف الأول:** وهم أبناء العمال الجزائريين الذين نزحوا إلى فرنسا بأسرهم، أو تزوجوا هناك بأوربيات وتناسلوا معهن، لقد أولى العلماء اهتماما خاصا بهذه الفئة، فكانوا يحثون الآباء على الاهتمام بتربية أبناءهم، ويدعونهم إلى إرسالهم إلى النوادي[1] أين يعطى لهم تعليما اقتصر في البداية على القراءة والكتابة ومبادئ اللغة والدين، ومعه يتلقون التربية الأخلاقية ومبادئ الوطنية التي تجعلهم يتعلقون منذ الصغر بوطنهم ويتمسكون بلغة ودين أجدادهم، فلا تبتلعهم الحياة الفرنسية ذات القيم والثقافة المغايرة لقيمهم وثقافتهم.

وان كنا نعاني نقصا في الإحصائيات، فإننا نعلم أن عدد الأطفال الذين كانوا يتابعون الدراسة في نوادي التهذيب يفوق الألف، وهذا في أواخر عام 1936م [2]، أي بعد مرور أقل من نصف عام على ظهور النوادي في فرنسا. وللأسف لا نملك أي أرقام أخرى عن أعدادهم خلال الفترات اللاحقة من المرحلة المعينة بالدراسة في هذا الفصل.

كان البرنامج الدراسي في البداية بسيطا كما قلنا، لكن مع التقدم الملحوظ الذي حققه شباب النوادي في هذا المجال، قرر العلماء في مؤتمرهم السنوي الذي انعقد في باريس يومي 16-

[1]La lutte sociale :N°100 , 5juin 1938, p.4.
[2]La Défense : N°136, 12janvier1937 ,p2.

17 أفريل 1938م إضافة مواد جديدة لبرنامج التعليم كالتاريخ والجغرافيا والموسيقى والمسرح والرياضة، كما تقرر طبع كتيبات إعلامية[1] توزع على رواد النوادي. هل وضع القرار الأخير موضع التنفيذ؟ هذا ما لا تجيب عليه المصادر التي بين أيدينا الآن.

- **الصنف الثاني:** وهم كبار السن، من عمال وعاطلين، حيث خصصت لهم أقسام تفتح مساءا بعد انصرافهم من عمل النهار. ففي كل مساء يوم هؤلاء النوادي أين يتعلمون القراءة والكتابة، باللغتين العربية والفرنسية، ويدرسون في الوقت ذاته القرآن والأخلاق الإسلامية. وقد لاقت هذه الدروس إقبالا كبيرا، فأصبح آلاف العمال يواظبون على متابعتها، تحدوهم رغبة كبيرة في التعلم. ففي أقل من سنة واحدة، أصبحت نوادي التهذيب تستقبل بين ألف وخمسمائة إلى ألفين من العمال الذين يتابعون بانتظام تعليمهم، وكان الكل يتمكن من تعلم القراءة والكتابة في وقت قصير، فيتخلصون من آفة الأمية ويتحررون من التبعية لغيرهم في القيام من بمراسلاتهم[2].

طبعا لم يتوقف الأمر عند محو الأمية العمال بتعليمهم القراءة والكتابة، وإنما تم تطوير البرنامج الدراسي مع التقدم الهام الذي أحرزه المتعلمون، حتى أنه تم إحداث(قسم أعلى) أين تعطى لهم أيام السبت والأحد من الساعة الثالثة إلى السادسة مساءا، بالعربية والفرنسية، دروسا في الأدب والتاريخ والجغرافيا[3].

يقول الأستاذ محمد الصالح بن عتيق:"..ووضعت(النوادي)برنامجا محكما للدروس والمحاضرات، وكان الإقبال عليها مشجعا لنا، وأصبح الكثير من العمال يترددون عليها ويتعلمون فيها تعليما منظما حسب البرنامج المسطر للمستوى الابتدائي والمتوسط حتى الثانوي، ويتلقون بصفة خاصة التاريخ والسيرة النبوية، والرياضيات وما إلى ذلك من العلوم المختلفة.."[4].

---

[1]La Défense : N°190, 18Mai 1938, p3.
[2]La Défense : N°144, 9avril 1937, p2, N°164 , 10october1937, p2.
[3]La Défense : N°144, 9avril 1937, p2.
[4] محمد الصالح بن عتيق ، أحداث ومواقف في مجال الدعوة الاصلاحية والحركة الوطنية الجزائرية، الجزائر، منشورات دحلب، 1990، ص84.

وهكذا أصبحت النوادي بمثابة مدارس حقيقية تستقبل متعلمين من مختلف الأعمار، وهي ليست مفتوحة للجزائريين فحسب، بل هي مفتوحة لكل المسلمين دون استثناء، وبخاصة الشمال إفريقيين[1].

2- الوعظ والإرشاد:

إضافة إلى الدروس اليومية، اعتاد كل ناد من نوادي التهذيب في فرنسا أن يلقى محاضرة في كل أسبوع، زيادة على احتفال شهري تقيمه"جمعية نادي التهذيب" في مركزها الرئيسي بباريس، وكانت مواضيع المحاضرات تتمحور حول الثقافة الإسلامية، وما يتصل بها من المواعظ والتوجيهات والأخلاقية، ويساهم في تنشيطها إلى جانب أعضاء بعثه جمعية العلماء، شخصيات إسلامية من المشرق العربي أذكر منهم في هذه المرحلة:الشيخ عبد الرحمان تاج، والشيخ محمد عبد الله دراز، وهما من علماء مصر، والأستاذ عمر بهاء الأميري والشيخ محمد المبارك من سوريا.

وامتد العمل الإرشادي للعلماء إلى فضاءات أخرى نوادي التهذيب، فقد دعي الشيخ الفضيل الورتلاني للمشاركة في برنامج(حديث الاثنين)الذي اعتمدت جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا على تنظيمه، فافتتح سلسلة المواضيع التي كلف بإلقائها بمحاضرة حول "المدينة الغربية والإسلام"، ونشرت جريدة البصائر قائمة المواضيع التي طلب منه معالجتها وهي: الإسلام والرق، الإسلام والمرأة، الإسلام والحرب[2].

وحين أنشأت شعبة مرسيليا لشباب المؤتمر الإسلامي الجزائري نادي للتهذيب، عينت لهم جمعية العلماء الشيخ فرحات بن الدراجي أستاذ فيه[3]، وفي هذا النادي أيضا حاضر الشيوخ: سعيد البيباني وسعيد صالحي ومبارك الميلي وغيرهم من العلماء الذين كان النادي يستضيفهم كلما مروا

[1]La Défense :N°164, 10Octobre 1937, p2.

[2] البصائر ، العدد65، 30أفريل 1937، ص8.

[3]La Lutte Sociale : N°130, 22Juillet 1938, p4.

بمرسيليا أثناء ذهابهم إلى باريس أو عودتهم منها إلى الجزائر. وحاول العلماء مد نشاطهم الدعوي إلى مسجد باريس، لكن يبدو أنه لم يؤذن لهم بذلك[1].

وفضلا عن هذا، هناك محاضرات عامة يلقيها العلماء في القاعات كبيرة تكترى لهذا الغرض أو تطلب من السلطات المحلية ، وكذا في الأماكن الأخرى التي يغشاها الجزائريون، خاصة المقاهي، من أجل إنقاذ روادها من مهاوي الضياع والانحراف، ولأن العلماء كانوا على درجة كبيرة من الحكمة وقوة الحجة وقدرة على الإقناع، فقد أنقذوا الكثير من العمال وجعلوهم ينجذبون إلى نواديهم أين يجدون الراحة بعد عناء العمل اليومي، ويندمجون في جو إسلامي وأخوي صاف، بعيدا عن صخب الحياة الفرنسية وماديتها.

3- إحياء المناسبات الدينية:

وفضلا عن نشاطاتها المعتادة، حرصت نوادي التهذيب في فرنسا على إحياء بعض المناسبات الدينية، وكان أول احتفال من هذا النوع ذلك الذي أقامته جمعية التهذيب بباريس في عيد الفطر(أواخر عام 1936م)، والذي نجد له وصفا في "البصائر" بقلم الشيخ الفضيل الورتلاني، وقد ابتدأ وصفه بقوله: "لأول مرة-فيما أعلم- يتاح لباريس الزاهرة-عاصمة العلم- أن تسمع اثني عشر خطيبا باللغة القحطانية الساحرة من أبناء جمعية العلماء ومن تلاميذ التهذيب التي هي في الحقيقة جزء منها.."وبعد أن ذكر أسماء المحاضرين، أردف قائلا: " هذه الطائفة من أبناء الجزائر المسلمة قد استطاعوا بفضل الله أن يسمعوا باريس صوت الإسلام ليلة العيد، وأن يشرحوا لها سماحة الدين الإنساني في محفل عظيم يضم بين جنبيه العناصر المختلفة والبلدان المتنوعة تحت راية الإسلام والعروبة...." أما عن تجاوب الجمهور الحاضر فقال: "لقد كان التأثير-والله- بالغا أشده حتى من بين الناس من بكى واستبكى، وحق المسلم الصميم أن يبكي لذلك المشهد الرائع الذي لم يسبق له نظير في هذه الربوع..".

[1] عمر بهاء الأميري ، احياء ذكرى المولد الشريف في باريس، الفتح، العدد553،ربيع الثاني 1356ه./1937ص 118.

وفي 23 ماي 1937م احتفلت نوادي التهذيب بالمولد النبوي الشريف، وقد نشط الحفل الطالب السوري عمر بهاء الأميري، وحضره أزيد من ألف من المسلمين المقيمين في باريس وضواحيها[1]، افتتحه الشيخ محمد عبد الله درازعضو البعثة الأزهرية بباريس بتلاوة آيات من القرآن الكريم، ثم أعطيت الكلمة للشيخ الفضيل الورتلاني الذي رحب بالحاضرين وأبان معنى هذا الاحتفال الذي قال: انه يهدف إلى دعوة المسلمين الذين يعيشون بعيدا عن أوطانهم الى التمسك بدينهم، والحفاظ على تقاليد أجدادهم، ثم ألقى محاضرة ألم فيها بحياة الرسول صل الله عليه وسلم، وبعدها اعتلى منصة الخطابة علماء من مختلف البلاد الإسلامية، وأنشد بعض أبناء المسلمين الجزائريين الموجودين بباريس أنشودة(عربية فرنسية) في التمسك بالإسلام وإتباع سنة محمد، وختمت الجلسة بالقرآن كما بدئت[2].

وفي فبراير1938م، احتفل نادي التهذيب بالقسم الحادي عشر بباريس بعيد الأضحى، وقد حضر الاحتفال آلاف المسلمين من مصر والهند وتونس والجزائر والمغرب والعراق ولبنان..الخ. في البداية ألقى **الشيخ دراز** محاضرة ذكر فيها بأصول هذا اليوم ومعانيه، وفوائد الاحتفال به، وشكر مؤسسي النوادي وأساتذتها الذين أتاحوا للمسلمين على اختلاف أقطارهم أن يلتقوا ويتعارفوا ويتآخوا في مثل هذه المناسبة، وكان من بين من تعاقبوا على المنصة الخطابة إضافة إلى أعضاء البعثة العلماء الجزائريين:سامي حقي، محمد المبارك من سوريا، وفرنسيان اعتنقا الإسلام: محمد علي ومحمد مهدي[3].

وفي شهر ماي 1939م أقام نادي التهذيب بالقسم العشرين احتفالا رائعا بذكرى المولد النبوي، وقد اكتظت أرجاء النادي بالحضور، وبعد أن أدى شباب النادي (الأنشودة المولدية) التي ألفها لهم الشاعر مبارك جلواح، اعتلى منصة الخطابة بين التكبير والهتاف مجموعة من الخطباء منهم

---

[1] La Défense:N°145, 18Juin 1937,p

[2] البصائر ، العدد 72، 25 جوان 1937م، ص5.

[3] La Défense :N°179, 23Février 1938, p

أساتذة النادي، وضيوفهم الذين يتقدمهم الأستاذ الأزهري الشيخ دراز، وكانت خطبهم كلها تدور حول حياة الرسول صل الله عليه وسلم ومعجزاته الباهرة، ودعوة الناس لدراسة سيرته، والرسالة التي جاء بها، وأعرب بعضهم عما آلت إليه الأوطان العربية والإسلامية من الويلات والنكبات"سيما الجزائر المسكينة التي أصبح يهدد فيها (اسم محمد) بالاضمحلال بقانون 8 مارس". وقد كان لكلام الخطباء الأثر الطيب في نفوس السامعين.[1]

هكذا إذن، ما كانت تمر فرصة عيد إسلامي، أو ذكرى تاريخية خالدة إلا واجتمع المسلمون من كل أنحاء باريس وضواحيها، في إحدى النوادي التهذيب ليحتفلوا بتلك الذكرى مشتركين. ويظهر من خلال ما نشر في صحف الجمعية من مقالات حول الاحتفالات والصور التي أخذت أثناءها، إقبال الناس على هذه المظاهرات، ومن مختلف الأعمار، على أن الحضور العنصري السنوي في هذه الفترة كان قليلا جدا. وقد تجلت في هذه الاجتماعات وحدة الأمم الإسلامية، حيث يجتمع فيها المسلمون من مختلف الجنسيات، تجمعهم عقيدة التوحيد رغم بعد ديارهم وتباين أوطانهم، ليسمعوا النصائح والخطب القيمة بالعربية والقبائلية والفرنسية، ويقضوا أعيادهم في استفادة واتعاظ وسرور.

ثالثا: ردة فعل السلطات الاستعمارية:

1- النشاط السياسي:

خلال الثلاثينيات حاولت السلطات الفرنسية في الجزائر تحطيم جمعية العلماء بشتى الوسائل، وذلك عندما تبين لها، بعد فوات الأوان، أنها أشد خصومها خطرا وأكثرهم تأثيرا في أوساط الجزائريين[2]فأصدرت من أجل ذلك العديد من القرارات الجائرة ضد مؤسساتها التعليمية ومعلميها ومساجدها ونواديها، لكن كل ذلك لم يوقف نشاط الجمعية التي صمدت في الميدان وبقيت تؤدي

[1] البصائر، العدد167، 26ماي، 1939، ص7.

[2] بوالصفصاف عبد الكريم ، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، ط1، 1981، ص168.

رسالتها، وقد قابلت تلك الإجراءات بالسخط والاحتجاج في صحافتها واجتماعاتها، وبالبرقيات والرسائل، ومقابلة المسئولين الفرنسيين على الشؤون الأهلية وإظهار تذمرها من تلك الإجراءات البغيضة.

و لم تقتصر احتجاجات الجمعية ضد الإجراءات الفرنسية على الجزائر فحسب، بل ارتفعت الأصوات بالاحتجاج حتى من نواديها بفرنسا نفسها. ففي أواخر عام 1936م اجتمع بباريس أكثر من ستة آلاف من أنصار جمعية التهذيب للاحتجاج ضد اعتقال الشيخ الطيب ألعقبي[1]، وفي شهر ديسمبر 1937م اجتح ممثلو نوادي التهذيب بقوة على المضايقات والمظالم الهاطلة على المؤسسات الدينية في الجزائر، كما احتجوا على تفتيش السلطة لنادي كليشي بباريس، وطالبوا باحترام المؤسسات التهذيبية في المستقبل وحمايتها من أعداء التهذيب[2].

وحين منعت السلطات الفرنسية المسلمين من إقامة صلاة العيد في الفضاء اجتمع مسلمو دائرة باريس وعددهم ألفان بنادي التهذيب ووجهوا إلى الحكومة احتجاجا بينوا فيه أن هذا المنع يعتبر مساسا بالحرية الدينية المعترف بها لجميع الأديان، وطالبوا أنلا تتكرر مرة أخرى هفوة كهاته، وأكدوا عزمهم على الدفاع عن حريتهم الدينية المهددة.

وفي الاجتماع العام الذي عقده أنصار نوادي التهذيب يوم9 أفريل1938م بباريس، رفع المجتمعون برقية نشرت نصها في جريدة" الدفاع" الصادرة بتاريخ 20 أفريل من السنة نفسها إلى كل من وزير الداخلية ووزير التربية الوطنية الفرنسيين والحاكم العام الفرنسي بالجزائر، أعربوا فيها عن احتجاجهم ضد كل أنواع المعاكسات والمظالم التي استهدفت معلمي جمعية العلماء مثل: عبد العزيز بن الهاشمي، عبد الحفيظ الجنان، سعيد بن حافظ، عمر دردور، بلعودي يحي وغيرهم، وطالبوا بإعادة عبد الحفيظ الجنان إلى وظيفته كمؤذن، والكف عن التهديدات المسلطة على ابن

[1] الشهاب، مرجع سابق، ص462.

[2] البصائر، العدد93، 31ديسمبر 1937، ص2.

حافظ، كما احتجوا بقوة ضد القرار الذي يفرض على نوادي العلماء نفس القوانين السارية على المقاهي الأهلية.

وفي 30أوت 1938م عقدت جمعية التهذيب بباريس اجتماعا عاما في ساحة فولتير حضره جمع غفير من المسلمين، وبعد سماع الخطب، تقرر بالإجماع إرسال هذا الاحتجاج:"إن المسلمين المجتمعين بباريس في نادي التهذيب، ببطحاء"فولتير" يوم السبت 30أفريل 1938م وعددهم ألفان وخمسمائة، يجددون احتجاجهم بكل غضب وانتعاض ضد سلوك الإدارة الجزائرية نحو الإسلام والعربية، وكانوا يضنون أن القرن العشرين الذي عم نوره الدنيا سيشملهم بصفة ما. وكانوا يحسبون أن تعذيب هذه الأمة طيلة قرن ونيف كاف وفوق الكفاية، وكانوا يعدون دماءهم التي أسالوها مع فرنسا، لم تذهب هدرا، وكانوا ينتظرون الفينة بعد الفينة إلى إعطاء الجزائريين حقهم الطبيعي الذي نال حظه منه في هذه العهود حتى العجماوات وفي مقدمة ذلك "التعليم"، وكانوا يعتقدون أخيرا أن عهد الحكومة الشعبية سيمتزج على الأقل ببصيص من روح الإنسانية، ويقضي على جانب من الوحشية. ولكن وللأسف خاب ظننا في كل ذلك، ورأينا اليوم من الشدة والقسوة ألوانا ما عرفناها من قبل.."[1].

وفي الأخير استغاث المجتمعون بفرنسا الديمقراطية ضد فرنسا الاستبدادية، واحتجوا على الاعتقال رجال جمعية العلماء لا لذنب سوى أنهم يعلمون الإسلام والعربية، وطالبوا بالإفراج الفوري عنهم وكرروا احتجاجهم ضد مرسوم 8 مارس، والقانون المضاد للنوادي الجزائرية، كما استنكروا ترويع الشيخ الطيب العقبي بعد أن برأته العدالة الفرنسية.

وخلاصة القول، أن نوادي التهذيب في فرنسا كانت تعقد الاجتماعات الدورية والطارئة لمواجهة إجراءات الإدارة الفرنسية الاضطهادية في الجزائر وفرنسا، وتوجه إلى المسؤولين الفرنسيين

[1] البصائر ، العدد114، 20ماي 1938، ص4.

والاحتجاجات على كل إجراء يمس الإسلام والعربية، وحقوق الجزائريين تماما كما كانت تفعل جمعية العلماء في الجزائر.

2- المشاركة في النشاطات المختلفة:

خلال تواجدهم بباريس شارك العلماء الجزائريين في كثير من التظاهرات والتجمعات التي كانت تنظمها الجمعيات والأحزاب السياسية، مثل: حزب نجم شمال إفريقيا وحزب الشعب الجزائري، الحزب الشيوعي الفرنسي، الجمعية الفرنسية الإسلامية لصداقة والثقافة والتعاون، جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا، شعبة مرسيليا لشباب المؤتمر الإسلامي الجزائري منها الفرنسية. و لم يكتف العلماء بالمشاركة الشكلية بل ساهموا بإلقاء الخطابات وتقديم المحاضرات.

وأكثر من ذلك كان للعلماء حضور حتى في بعض المؤتمرات والندوات الدولية التي دعيت جمعية العلماء للمشاركة فيها، فقد حضر الشيخ الفضيل المؤتمر الدولي الأول للكتاب الأحرار المنعقد بباريس في شهر جويلية 1937م، وألقى فيه محاضرة انتقد فيها السياسة الفرنسية في الجزائر وخاصة محاربتها لوسائل العلم الثلاث: الصحافة التي قال إنها لم تتمتع بجزء في المائة من الحرية هذا القرن الزاهر، سيما العربية منها، والمدارس، إذ أن مليونا إلا مائة ألف من أبناء الأهالي في الجزائر لا يجدون مكانا في المدارس الرسمية، ومع ذلك –يقول الورتلاني- تمنعنا الإدارة من فتح المدارس الحرة على نفقتنا لتعليم اللغة العربية[1]، ومما جاء في محاضرته قوله:

"إننا مرتبطون-سياسيا- بفرنسا منذ قرن وسبع سنوات، ولفظ فرنسا-أيها السادة- إذا أطلق ينصرف إلى الشعب بأجمعه، وهذا الشعب ما أبغضناه ولا أسأنا إليه يوما ما كما يشهد التاريخ، وهو أعدل شاهد، ولكن أفظ فرنسا في عرف السياسة-سيما في الجزائر المسكينة- معناه طائفة من الاستبداديين والانتفاعيين الذين يريدون ليس فقط أن يعيشوا على حساب مجهودات الإنسان ، ولكن على حساب تعطيل مواهبه العقلية ونتاجه الفكري أيضا، والدليل على ذلك

[1] البصائر، العدد101، 25فيفري1938، ص4.

وجود تسعمائة ألف صبي يتشردون في الأزقة والأهج من دون تعليم، وهم يعيشون في القرن العشرين، قرن العلم والنور، فباسم ذلك الجيش الجرار-أيها الأحرار- أرفع صوتي عاليا مستغيثا بضمائركم أن تثوروا بأقلامكم النارية ضد من يريد حرمانهم من هذا الحق الطبيعي..."[1].

وختم الشيخ الفضيل خطابه بكلمات أرى أنها تستحق أن تثبت هنا، إذ يقول:" أيها العلماء الأحرار، إنكم بموجب الواقع رسل الرحمة بألسنتكم وأقلامكم، وان أحوج الناس إلى الرحمة الضعيف، وما أحوجه إلى ألسنتكم وأقلامكم قبل حاجته إلى السيوف والقنابل، ورب كلمة حافظت على السلام ورب جرة قلم ساقت إلى البشرية الأمان، فحدوا ألسنتكم، وابروا أقلامكم لحصد أباطيل المجرمين، وإيقاظ غفلة النائمين، فأنا معكم لا ممن القائلين، ولكن ممن العاملين والسلام عليكم باسمي وباسم الجزائريين" .

وفي المؤتمر الدولي الثاني للكتاب الأحرار الذي انعقد في العام الموالي، ألقى الورتلاني خطابا باسم جمعية العلماء شرح فيه وضع الجزائر ومطالب شعبها، ودعا الأحرار إلى المناصرة كل الشعوب المظلومة من دون تمييز خاصة تلك التي تواجه قوة لا قبل لها بها كالشعب الفلسطيني، وفي هذا المحفل الكبير الذي حضره ستمائة نائب يمثلون إقليما من مختلف القارات أبان الورتلاني عن مبادئ الإسلام وتسامحه، وأقام على ذلك الشواهد الدينية من آيات وأحاديث، والشواهد العلمية من تاريخ المسلمين القديم والحديث. وبفضل مشاركة العلماء في هذا المؤتمر أصبح الخطباء على اختلاف مشاربهم يذكرون الإسلام ويحترمونه ويشيدون بمحاسنه[2].

هذه إذن، أمثلة من التظاهرات والمحافل الثقافية التي ارتفع فيها صوت الجزائر والإسلام وراء البحار، وذلك من خلال مشاركة جمعية العلماء التي مثلها في الغالب مؤسس نواديها بفرنسا الشيخ الفضيل الورتلاني.

[1] البصائر، العدد100، 18 فيفري1938، ص4.

[2] البصائر ، العدد 127، 19 أوت 1938، ص2-3.

3-النشاط الإعلامي:

تقوم نوادي العلماء بفرنسا بتوزيع منشورات وصحف جمعية العلماء المسلمين، ويمد بعض نشطائها الجرائد الجزائرية بالمقالات والقصائد الشعرية، والإجابات عن أسئلة القراء في المسائل الفقهية[1]، وكانت صحف الجزائرية أخرى غير صحف جمعية العلماء، مثل"الإصلاح"، تصل إلى هذه النوادي ويقبل سبابها على قراءتها[2]، وكذلك الأمر بالنسبة للصحف المشرقية التي كثيرا ما تصل إلى الجزائر وأقطار المغرب الأخرى عبر هذه النوادي، ولا شك أن الصحف الجزائرية كانت-هي الأخرى- تسلك الطريق نفسها لتصل إلى إخواننا في الشرق.

إن الذي حملني على هذا القول هو ما ذكره الأستاذ عمر بهاء الأميري حول أهداف فرع" رابطة شباب محمد صل الله عليه وسلم" في باريس، إذ عدد من أهدافه:"إرسال الجرائد السورية إلى أقطاب شمال إفريقيا المسلمين، والاشتراك في مجلاتهم وجرائدهم، وإرسالها إلى حلب ودمشق حتى يطلع عليها الإخوان"[3]

4- إغلاق النوادي أثناء الحرب العالمية الثانية:

لما غادر الشيخ الفضيل الورتلاني أرض فرنسا في أواخر سنة1938م، واصل العلماء نشاطهم في فرنسا بقيادة الشيخ سعيد صالحي، إلى أن احتل الجيش الألماني فرنسا في جوان 1940م، فصار من الصعب القيام بأي نشاط سياسي واجتماعي خلال الحرب العالمية الثانية، فعاد أغلب العلماء إلى الجزائر، وسافر بعضهم إلى المشرق العربي[4]، وسيق كثير ممن كانوا يعمرون

---

[1] د.مولود عويمر، التجربة الدعوية لجمعية العلماء المسلمين بفرنسا 1936-1956، مجلة تعارف، العـــدد الأول، 2003، ص238.

[2] الاصلاح ، العدد20، 13مارس 1940، ص3.

[3] عمر بهاء الأميري ، رابطة شباب محمد صل الله عليه وسلم، مجلة" الفتح" العـــدد577، 22رمضـــان1356ه./1938م، ص17.

[4] د.مولود عويمر، التجربة الدعوية لجمعية العلماء ، المرجع السابق، ص245.

النوادي إلى ساحة القتال، وكان ممن شملهم يومئذ النفير الشاعر مبارك بن جلواح مسؤول النوادي بباريس، وكثير من أعضاء وتلامذة جمعية التهذيب[1].

وهكذا انفضت المجالس وأغلقت النوادي، وتعطل عمل من أجل الأعمال التي باشرتها جمعية العلماء. ويذكر"أحمد بن عاشور"، أنه اتصل سنة 1943م بصديقه مبارك جلواح، الذي كان قد سرح من الجندية، واتفق معه على أن يبذلا قصارى الجهد لفتح نوادي التهذيب من جديد، لكن يبدو أن ظروف الحرب، ووفاة مبارك جلواح في ظروف غامضة في تلك الأيام، حالا دون تحقيق ذلك، فتأجل استئناف الحركة لنشاطها إلى ما بعد نهاية الحرب، وصدور قرار العفو العام في سنة1946م.

رابعا: تراجم لأبرز الناشطين في فرنسا في مرحلة 1936-1940

1- الفضيل الورتلاني:

هو حسنين الفضيل، اشتهر باسم الفضيل الورتلاني نسبة إلى بلدة بني ورتلان، التي ولد بإحدى قراها، وهي تنتمي جغرافيا إلى منطقة القبائل الصغرى، وتتبع إداريا ولاية سطيف حاليا. ميلاده كان في حوالي سنة1900م، انحدر من أسرة عريقة في العلم والثقافة، اشتهر منها جده الأعلى الحسين الورتلاني، العالم والرحالة صاحب الرحلة المشهورة المسماة"رحلة الورتلاني".

نشأ الفضيل الطفل نشأة دينية علمية بحكم البيئة التي ولد فيها، وتعلم بمسقط رأسه وحفظ القرآن الكريم وعمره لا يتجاوز العشر سنوات. وقد تلمذ على يد والده،وشيوخ أجلاء من بينهم: السعيد أبهلول، ومحمد الصغير، ومحمد وعمر وغيرهم.

لما بلغ سن العشرين، جند للخدمة العسكرية الإجبارية، فكانت المدة التي قضاها في الجيش الفرنسي فرصة له لإثراء تجاربه في الحياة، واكتشاف ما كان يعنيه أبناء وطنه من تمييز واحتقار من

[1] أحمد بن عاشور، الشاعر مبارك بن جلواح وجمعية التهذيب، البصائر، العدد65، 31جانفي 1949، ص6.

جانب المستعمرين الفرنسيين. وفي سنة 1928م انتقل إلى مدينة قسنطينة بهدف طلب العلم والاستزادة منه، وهناك جمعته الأقدار بإمام النهضة في الجزائر عبد الحميد بن باديس، حيث انتظم الفضيل في دروسه مجتهدا ومثابرا، وسرعان ما اكتشف الإمام نبوغه ونميزه بين أقرانه من الطلبة، فاصطفاه وأولاه عناية خاصة، إذ عينه للتدريس معه وهو لا يزال طالبا، وأخذ يصطحبه في جولاته عبر الوطن ليسجل عنه نشاطه في حقل الدعوة والإصلاح، ثم يكلفه بالتجول عبر الوطن لصالح مجلة "الشهاب"، ليعينه بعد تخرجه في سنة1934م، معلما بمدرسة التربية والتعليم الإسلامية بقسنطينة.

ثم أنتدب ليكون مندوبا لجمعية العلماء في فرنسا سنة 1936م، فأقام هناك ما يربو عن السنتين، يقود الحركة ويبذل ما في وسعه انشر مبادئ الإصلاح بين مغتربينا إلى أن طرأت ظروف أجبرته على مغادرة فرنسا إلى المشرق العربي في أواخر سنة 1938.

تابع الورتلاني وهو بالمشرق جهاده فساهم في تأسيس العديد من الهيئات السياسية أهمها جبهة الدفاع عن شمال إفريقيافي سنة 1944م التي بذلت جهودا معتبرة في سبيل خدمة قضايا الجزائر والمغرب العربي والكشف بوضوح عن وجه الاستعمار البغيض المقنع، وهي التي شنعت بمجازر ماي 1945م. وفي سنة 1949م أسس بالقاهرة مكتبا لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين. ومن ذلك المكتب انطلق صوت الجزائر إلى الدول العربية والإسلامية، فكان للورتلاني اتصالات واسعة بالعديد من الشخصيات العلمية والسياسية بهدف التعريف بقضية الجزائر، وإقناعها بضرورة تقديم العون والمساعدة لها.

بقي الورتلاني يواصل جهاده دون فتور أو ملل، وحين اندلعت الثورة الجزائرية في الفاتح من نوفمبر 1954م، سارع إلى تأييدها والتبشير بها مجندا قلمه ولسانه لخدمتها، فكان يشرح في كتاباته[1] وتصريحاته حقائق تلك الثورة المباركة التي يخوضها الشعب الجزائري بأسلحة بسيطة،

[1] الفضيل الورتلاني، الجزائر الثائرة، دار الهدى، عين مليلة الجزائر، 1992 ، ص.

لكن بإيمان وصبر قويين، ضد قوة استعمارية كبرى تقف وراءها دول الحلف الأطلسي الغربي، ويدعو الدول الإسلامية إلى ضرورة تقديم الدعم المادي والمعنوي للشعب الجزائري في معركته المصيرية ضد الاستعمار الفرنسي، وقد عين ابتداء من سنة1955م عضوا قياديا بمكب جبهة التحرير الوطني بالقاهرة، ثم انتدبته الجبهة في سنة 1958م ممثلا لها بتركيا، فاستطاع بفضل إخلاصه ونشاطه الدؤوب، أن يحدث تحولا ملموسا في موقف الحكومة التركية تجاه الثورة الجزائرية، ومهد بذلك السبيل لإقناع تركيا-العضو في الحلف الأطلسي- بعدالة القضية الجزائرية[1].

ونظرا للمشاق والأتعاب التي تحملها الورتلاني طيلة أكثر من ربع قرنمن النضال والجهاد، وهنت صحته، وأصابته أمراض مزمنة، لم يتفرغ لعلاجها، ولم يتوقف عن العمل رغم نصائح الأطباء والأصدقاء، وعندما استفحل داؤه، اضطره إلى دخول المستشفى بأنقرة عاصمة الجمهورية التركية، أين وافاه الأجل المحتوم بتاريخ12 مارس1959م عن عمر يقارب الستين عاما، فدفن هناك إلى أ، نقل رفاته إلى أرض الوطن في سنة1987، ليدفن بمسقط رأسه ببني ورتلان ولاية سطيف.

2- سعيد صالحي:

ولد في سنة 1902م بقرية قنزات، أكبر قرى بني يعلى بولاية سطيف حاليا، تعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم وهو في الحادية عشر من عمره. فقد والده في سن مبكرة فكفله عم والده العلامة الشيخ ارزقي صالحي، صاحب إحدى حلقات الدرس المشهورة بقترات، فتعهده بالتدريس والتوجيه والتربية، فأحب العلم وأقبل على مطالعة أمهات الكتب في الدين والتاريخ والأدب. كلفه أستاذه بإلقاء الدروس في حلقته العلمية لما تأكد من علمه وتحصيله، ولما توفي أستاذه الشيخ ارزقي في سنة1930م، خلفه الشيخ سعيد صالحي في خلقته التي أخذت تتسع ويكثر الإقبال عليها.

[1] عبد الحفيظ أمقران، المرحوم الفضيل الورتلاني عبر المقاومة الوطنية الى ثورة التحرير الـــوطني1900-1959، الثقافـــة، العدد100،سنة1988، ص71.

قاد الشيخ سعيد صالحي الحركة الإصلاحية في بني يعلى، فأسس"نادي الشباب" و"مدرسة الإصلاح" في قنزات. وفي 30أوت 1937م زار الإمام ابن باديس منطقة بني يعلى لتفقد الحركة الإصلاحية فيها، فكان في استقباله الشيخ سعيد صالحي، وقد تكللت الزيارة بالنجاح، وكانت فتحا مبينا ونصرا عظيما للإصلاح في المنطقة.

انتدبته جمعية العلماء للعمل ضمن حركتها في باريس مرتين قبل الحرب العالمية الثانية، كما استعانت به حين أرادت بعث نشاط هذه الحركة بعد الحرب 1947م. اعتقل أثناء الحرب لمدة سنتين(41-1943م) كما سجن اثر حوادث ماي 1945م، ولما أطلق سراحه في سنة 1946م، وضع تحت الإقامة الجبرية بعين الدفلى[1].

خلال فترة الخمسينيات (50-1956م) اعتمدته جمعية العلماء للإشراف على الحركة الإصلاحية في مدينة(سيق)، ثم في وهران ثم في تلمسان، فكان خلال هذه الفترة يتجول في كل مدن وقرى الغرب الجزائري واعظا ومرشدا، كما يفعل ذلك عبر مختلف مناطق القطر الجزائري الأخرى، خاصة مناطق القبائل الكبرى والصغرى.

في شهر جوان 1956مـــ، هاجم الجيش الاستعماري مدرسته في قنزات فأغلقها، واعتقل هو في تلمسان، ولما أفرج عنه سنة1960م، أبعد إلى وهران في إقامة جبرية حتى سنة1962م. بعد الاستقلال، أشرف على حركة دار الحديث بتلمسان إلى آخر سنة1965م، تولى منصب نائب رئيس المجلس الإسلامي الأعلى، وأحيل على التقاعد في آخر سنة1972م. توفي رحمه الله يوم 25 جويلية 1986م.

[1] محمد الحسن فضلاء، من أعلام الاصلاح في الجزائر ج1، مطبعة دار هومة، الجزائر، 2000م، ص124-129،.

– نشاطه في فرنسا:

لما قررت جمعية العلماء إمداد معتمدها في باريس الشيخ الفضيل الورتلاني بمساعدين من رجالها، كان الشيخ سعيد صالحي أول من اختارته لهذه المهمة، وكان ذلك في حوالي منتصف شهر سبتمبر 1936م، فأصبحا يتقاسمان العمل ويقومان بما تتطلبه النوادي والفروع المؤسسة من التوجيه والإرشاد والتعليم، فازدهرت الحركة وتوسعت وألحقت الجمعية بهما عددا آخر من الأساتذة والمعلمين.

3- مبارك جلواح:

شارع وأديب، ومصلح. ولد سنة 1908م، في قلعة بني عباس قرب مدينة آقبو(ولاية بجاية). أشرف والده الذي كان متعلما على تحفيظه القرآن الكريم وتلقينه المبادئ الأولية لعلمي العربية والفقه، ولكنه لم يفد كثيرا من ذلك فيما يبدو،لأن والده كان كثير التنقل في تجارة وأعمال له. واصل تعليمه في بعض الزوايا المحلية، كما دخل بعض الوقت المدرسة الفرنسية الابتدائية.

في سن الثامنة عشر من عمره جند قسرا لأداء الخدمة العسكرية في الجيش الاستعماري، شأن الشباب الجزائري آنذاك، فحرمه ذلك من إتمام تعليمه وتعميق معارفه، غير أن رب ضارة نافعة، فبعد فترة من التدريب قضاها في الجزائر أرسل إلى مدينة فاس المغربية لخدمة ضابط مغربي مثقف، فقضى أزيد من سنتين في هذه المدينة التاريخية التي كانت تعج بالثقافة والمثقفين، وبالعلم والعلماء، فلم يغادرها إلا وقد ألم بأطراف من الثقافة والعلم لم يكونا وقعا له من قبل في الجزائر على عهد الصبا[1].

بعد عودته إلى الجزائر، وكان ذلك في بداية الثلاثينيات، انخرط في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، واشتغل في مدارسها في كل من قالمة وبريقو(المحمدية حاليا) ومستغانم، إلى أن انتدابه الجمعية للعمل ضمن حركتها بباريس سنة 1937م.

[1] د. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج8، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1، 1998، ص296.

نشاطه في فرنسا:

كان مبارك جلواح أحد المعلمين الذين أمدت بهم جمعية العلماء حركتها في فرنسا، وكان ذلك في حوالي شهر ماي 1936م كما قال بعض من كتبوا عن حياته. عمل جلواح أستاذا في نوادي التهذيب بباريس،فكان يلقي الدروس ويشارك في المحاضرات وينشطها أحيانا، ويؤلف الأناشيد لتلاميذ النوادي، ويكتب للبصائر تقارير حول نشاط نوادي باريس، واستمر يمد البصائر بقصائده(آنة من وراء البحر)[1] التي يشكو فيها من هموم الغربة وألم فراق الأهل والوطن، ويتبرم من "وطن العجم" الذي قادته إليه الأقدار، وقصيدة (المسلم الإفريقي في باريس) التي يصور فيها معاناة العمال المغاربة في غربتهم، وغيرها من القصائد.

إن المصير الذي لقيه جلواح، ما يزال يكتنفه الغموض ويحير الدارسين لحياته.فعبد الله ركيبي الذي درس حياة الشاعر عن حياة الشاعر وخصص لها كتابا، قد رجح أن يكون قد انتحر في لحظة يأس، ودليله في ذلك كثرة حديث الشاعر عن الموت والانتحار، وقصيدته السينية التي يرثي فيها نفسه، فيمثله جاء إلى نهر السين وقد ألقى نفسه فيه، وهذا الأمر استبعده بعض الباحثين منهم عبد المالك مرتاض الذي رجح أن يكون قد اغتيل من بعض المتطرفين الفرنسيين بسبب موقف الشاعر الذي كان معجبا بهتلر وبالألمان الذين احتلوا باريس زمنا، شأن معظم الجزائريين الذين رأوا في اندحار فرنسا–آنذاك– إيذانا لهم بالتحرر من رقة الاستعمار الفرنسي. يقول: فلما اندحر الألمان عن باريس، يبدو أن شخصا ما كان على دراية بموقفه من هتلر فاغتاله، إن لم يكن سبب ذلك نشاطه الاستثنائي في فتح نواد لتعليم العربية وثقافتها بباريس وضواحيها[2].

[1] البصائر، العدد103، 11مارس 1938، ص7.

[2] عبد الملك مرتاض، مرجع سابق، ص343-344.

ومن الباحثين الذين لم يتقبلوا(فرضية انتحار الشاعر) الأستاذ أبو القاسم سعد الله، إذ رأى أن انتماء الشاعر إلى الحركة الإصلاحية كان يمنعه من هذا المصير، إذا لم يكن قد انحرف في حياته في باريس[1].

4- محمد الصالح بن عتيق:

من مواليد 1903م بقرية "العارصة" دائرة الميلة. دخل كتاب القرية فتعلم فيه القراءة والكتابة والقرآن الكريم، ثم تردد على زوايا قسنطينة فأتم القرآن حفظا وتلاوة. لما بلغ سن التاسعة عشر التحق بمدينة ميلة، وهناك قضى أربع سنوات يتلقى العلوم الدينية واللغوية على يد شيوخ أجلاء.

وفي سنة 1926م انتقل إلى قسنطينة وانتظم في دروس الإمام ابن باديس في الجامع الأخضر، وبعد عام أرسله الإمام لمواصلة الدراسة في جامع الزيتونة بتونس. في سنة 1932م حصل على شهادة التطويع فعاد إلى الجزائر عاقدا العزم على تكريس حياته لخدمة العلم والدين فبدأ عمله بمسقط رأسه بالميلية، لكن بسبب المعارضة التي لقيها من أهل الميلية، بسبب سيطرة الطرقية عليهم، نقل-بموافقة منه- إلى قلعة بني عباس(دائرة آقبو) في سنة1935م، وهناك أنشأ مدرسة حرة بفضل جهود سكانها، وقام بعمل إصلاحي كبير في المنطقة وهو ما جعل الإمام ابن باديس يشيد بذكرها ويسميها(قلعة الإصلاح)[2].

في 7جويلية 1937م انتدبته جمعية العلماء للعمل ضمن بعثتها في باريس، ولما عاد في جوان 1938م، كلفته بالعمل التعليمي والإصلاحي في مدينة برج بوعريريج ثم الميلية ثانية، وفي سنة1943م كلفه الشيخ الإبراهيمي بإدارة مدرسة تيارت والإشراف على التعليم في المناطق

[1] سعد الله ،تتاريخ الجزائر الثقافي، ج8 ، مرجع سابق ، ص297.

[2] محمد الصالح بن عتيق ، أحداث ومواقف في مجال الدعوة الاصلاحية والحركة الوطنية بالجزائر، مطبعة دحلب، الجزائر، 1990، ص77.

المجاورة لها، إلى أن دعي في سنة1950م للإشراف على مدرسة الإرشاد في سكيكدة، ثم إدارة فرع معهد ابن باديس بالميلية، وفي سنة 1954م كلف بإلقاء دروس الوعظ والإرشاد

الفصل الثالث

نشاط جمعية العلماء المسلمين بعد الحرب العالمية الثانية (1946–1954م)

أولا: محاولة إحياء الحركة الدعوية من جديد:

1- تجديد اهتمام الجمعية بالجالية الجزائرية في فرنسا:

لقد توقف نشاط الجمعية العلماء أثناء الحرب العالمية الثانية، لا في فرنسا فحسب بل في الجزائر كذلك، نظرا لخضوع البلاد للأحكام العرفية وحرمان الجزائريين من كل نشاط سواء كان سياسيا أو غير سياسي. ولما مرت سنوات الحرب الشداد، وزال كابوسها الذي جثم على الحركات كلها، نشطت الجمعية من جديد تحت رئاسة الشيخ البشير الإبراهيمي الذي خلف الإمام ابن باديس، وانطلقت في نشر التعليم العربي"الحر"، وتكوين المدارس، وإقامة النوادي، وتأسيس المساجد، وأعادت إصدار جريدة"البصائر"، وكان من الطبيعي، خلال هذه المرحلة، أن يتجدد اهتمام الجمعية بالجالية الجزائرية المهاجرة إلى فرنسا، وأن تفكير في إحياء حركتها هنالك، لأنها تعتبر"المسألة كبيرة... ومسؤوليتها عند الله وعند الناس ثقيلة"[1].

في الواقع أن حالة الجالية المقيمة في فرنسا قد أثارت اهتماما كبيرا لدى قادة جمعية العلماء، فقد رأوا أن من واجب جمعيتهم أن تأخذ بزمام المبادرة لعلاجها وإنقاذ تلك الجالية من الذوبان والانسلاخ من قيمها الدينية والوطنية، وذلك بأن تستأنف العمل الذي كانت قد بدأته سنوات قبل الحرب حين أوفدت إليهم الشيخ الفضيل الورتلاني، وأمدته بمجموعة من الوعاظ والمعلمين لإرشاد الآباء وتعليم الأبناء، وكان عدد الجالية إذ ذاك أقل، وكان الخطر المتوقع أخف.

ومما زاد من إحساس الجمعية بالمسؤولية تجاه الجالية الجزائرية بفرنسا، كثرة عدد الأطفال المولودين لأب جزائري وأم أوروبية، وقد وصف الأستاذ عبد الرحمان اليعلاوي معتمد جمعية العلماء في فرنسا وأوربا ورئيس شعبتها المركزية بباريس بعد الحرب العالمية الثانية، حالة هؤلاء الأطفال الجزائريين في تقرير إلى الجمعية في عام 1951م فقال: "يوجد اليوم عدد يتراوح بين الخمسة عشر والعشرين ألف طفل في سن الدراسة ولدوا من أب مسلم وأم مسيحية في الغالب، لا

[1] البشير الإبراهيمي، التقرير الأدبي لجمعية العلماء، البصائر، العدد173/172، 15أكتوبر 1951، ص5.

يتلقون تعليما قوميا، فيشبون على غير أخلاق ومعتقد آبائهم حتى إذا كبروا، تنكروا لجنسهم، واندمجوا في عنصر الأكثرية، فتفقد البلاد هذا الشباب المتعلم الذي هي في حاجة أكيدة إليه لصد غوائل الاستعمار المادية منها والأدبية"[1] .

2- إنشاء "الشعبة المركزية" بباريس:

من المسائل التي حظيت بالبحث من طرف المجلس الإداري لجمعية العلماء في اجتماعه المنعقد في شهر جويلية من سنة 1947م، مسألة"التعليم والإرشاد بفرنسا"[2]. وفي سبيل إحياء هذا العمل، كانت الجمعية قد أوفدت الى باريس، في منتصف العام نفسه، مراقبها العام الشيخ سعيد صالحي "ليدرس الحال ويمهد للأعمال"[3]. والشيخ صالحي هو ـــأحد العاملين مع الشيخ الفضيل الورتلاني في الحركة الأولى، وأحد الضالعين في مجال الوعظ والإرشاد، لذلك اختارته الجمعية في هذه المدة وانتدبته لهذه المهمة.

أقام الشيخ صالحي بفرنسا ما يربو عن ثلاثة أشهر، فجمع الصفوف التي تناثرت، ورتب محاضرات جامعة أسمع الناس فيها كلمة الدين، وصوت العربية، وسافر إلى عدة مدن حيث يتواجد العمال فأبلغهم دعوة الحق، وأظله شهر رمضان هناك فأحيى لياليه بدروس ومحاضرات أفهمت المسلمين أنهم في شهر رمضان حقيقة[4].

لما عاد الشيخ صالحي أوضح أن أكبر الموانع التي تعترض استئناف الحركة في فرنسا هي صعوبة إيجاد الأماكن أو المحلات، وهذا يعكس مرحلة الثلاثينيات حيث كانت المحلات آنذاك

[1] البصائر، تقرير عن حالة العمال الجزائريين بباريس، العدد173/172، 15أكتوبر 1951، ص7.
[2] البصائر، العدد 1، 25جويلية 1947، ص5.
[3] البصائر ، العدد 173/172، مصدر السابق ص5.
[4] البصائر، العدد 4، 29أ,ت 1947، ص7.

موجودة بكثرة وبأثمان زهيدة مع السعة اللازمة لأنها في الأصل كانت معاملفتعطلت[1]، بسبب الأزمة الاقتصادية التي أصابت آنذاك الدول الرأسمالية ومنها فرنسا.

وسط صعوبات جمة إذن، وعلى رأسها–كما سلفنا– قضية المحلات التي هي "عقدة عقد" على حد تعبير الشيخ الإبراهيمي[2]، عمل الأستاذ عبد الرحمان اليعلاوي معتمد الجمعية في فرنسا وأوربا كلها، ورئيس شعبتها المركزية بباريس، رفقة بعض الأنصار الحركة الإصلاحية على تنظيم التعليم والإرشاد في باريس وضواحيها، وعقد الاجتماعات من أجل بعث الحركة من جديد[3]. وإذا كانت" شعبة باريس" قد أعيد تنظيمها منذ حوالي سنة 1946م ، فان نشاطها الحقيقي لم ينطلق إلا في أواخر سنة 1949م، حين تم تجديد مكتبها الذي تدعم مجموعة من الشباب المتحمس إلى فكرة الإصلاح أمثال: عبد الحفيظ أمقران، بشير ازمران، سي الطاهر سي بشير، سعيد حواسين وغيرهم، وقد بقي الأستاذ اليعلاوي رئيسا للشعبة.

وهكذا بدأت النهضة تنتشر في باريس، وتتسع بتكوين الشعب الفرعية في دوائر باريس، وتنظيم أنشطة في حقل الوعظ والإرشاد ودعوة المغتربين إلى التمسك بثوابت الشخصية الوطنية وعدم الذوبان في المجتمع الفرنسي، وعقد عشرات التجمعات داخل مقاهي الجزائريين لاسيما في شهر رمضان[4].

و لم يقتصر عمل جمعية العلماء وتفكيرها في هذه المرحلة على أولئك العمال البسطاء، بل امتد إلى "طائفة أخرى من أبناء الجزائر، هم تلامذة الكليات في فرنسا".

[1] الشهاب ، مرجع سابق، ص461.

[2] البصائر ، العدد173/172، 15أكتوبر 1951، مصدر سابق، ص5.

[3] البصائر، العدد 22، وفيفري1948، ص6.

[4] عبد الحفيظ أمقران ، مذكرات من مسيرة النضال والجهاد، دار الأمة، الجزائر، ط1، 1997، ص3.

ومما يدل على اهتمام الجمعية البالغ بقضية المغتربين هو تردد بعض قادتها خاصة رئيسها الشيخ الإبراهيمي على فرنسا، تفقدا للحركة وتشجيعا للقائمين عليها وتذليلا للصعوبات التي تواجهها.

3- رحلة الإبراهيمي والتبسي إلى باريس(1950):

في أواخر شهر أكتوبر من سنة 1950م، سافر رئيس جمعية العلماء الشيخ البشير الإبراهيمي رفقة نائبه الشيخ العربي التبسي إلى باريس، وكان الهدف من هذا السفر-كما بينه الإبراهيمي نفسه- هو الدفاع في العاصمة الفرنسية، باستعمال جميع المنابر المتاحة، عن قضيتين أساسيتين: الأولى قضية فصل الحكومة عن الدين الإسلامي في الجزائر وحرية التعليم العربي، والثانية وضعية الجزائريين النازحين إلى فرنسا وضرورة تأسيس مدارس لهم على يد جمعية العلماء" لتعليمهم وتعليم أبناءهم حتى تبقى نسبتهم إلى الإسلام محفوظة، وعلاقتهم بالإسلام متينة"[1].

تحدث الشيخ الإبراهيمي عما تم لهما من أعمال خلال مدة إقامتهما في باريس فقال بخصوص القضية الأولى: "...ذهبنا إلى باريس ولقينا بقضيتنا المسؤولين من رجال التنفيذ، ورجال التشريع، ورجال الصحافة، وشرحنا قضيتنا على أكمل وجه...".

أما عن القضية الثانية فقال: "كان من مقاصدنا في هذه المرحلة أن نعيد تلك الحركة المباركة أقوى مما كانت، فخالطنا إخواننا هناك وحادثناهم، فابتهجوا بهذه البوادر الطيبة، وحييت فيهم الآمال، واجتمعنا بهم في مجامع محدودة، ثم عقدنا اجتماعا(ليل) من مدن الشمال، ثم عقدنا اجتماعا حافلا في باريس، تحت رعاية شعبة العلماء بها، وقد رأينا في الإقبال والاستعداد وشجعنا على المضي في العمل وقوي أملنا في النجاح".

دامت إقامة الإبراهيمي في باريس خمسين يوما، أما نائبه فقد امتدت إقامته هناك لخمسين يوما أخرى أو تزيد، عقد خلالها ستة عشر اجتماعا، ثلاثة منها في أطراف باريس، وثلاثة عشر في

[1] البشير الإبراهيمي، رحلتنا إلى باريس، البصائر، العدد136، 8جانفي1951، ص2.

أقسامها التي تكثر فيها الجالية الجزائرية، وخصص لها أيام السبوت والآحاد لتفرغ العمال فيها، وقد خطب في جميعها واعظا مرشدا مبينا للحالة السيئة التي عليها أولئك العمال في دينهم، وللعواقب الوخيمة التي تنتظر أبناءهم المولودين هناك[1].

وقبل أن يغادر الشيخ التبسي باريس أقامت "الشعبة المركزية" مأدبة عشاء تكريما له، وذلك يوم 4 فيفري 1951م، حضر نحوها مائتي مدعو من رجال العلم والعمل، وخطب فيها الشيخ خطبة جامعة لكل ما يهم المسلم، وأفاض في بيان حقيقة جمعية العلماء ومقاصدها، وأعمالها ومواقفها المشهودة في إحياء الإسلام والعربية في الجزائر، وما صممت عليه من خدمتهما في فرنسا، وبين نظام الأعمال التي تنوي أم تقوم بها لمصلحة الجالية الجزائرية، أن مبعث الحركة كلها سيكون من باريس، وحمل الحاضرين مسؤولية التعاون على هذا العمل الجليل، وبين لهم أن جمعية العلماء ليست جمعية استغلال.

وفي طريق عودته إلى الجزائر نزل الشيخ التبسي بمرسيليا، حيث تلقته الهيئات الإسلامية هناك بالترحيب، وأقام أربعة أيام كانت عامرة بالنشاط المفيد.

والخلاصة أن زيارة الأستاذان، الرئيس ونائبه، كانت ذات فوائد معنوية كبرى، فقد بعثت في جاليتنا روح الأمل، وأيقنوا أنهم غير منسيين، وأن جمعية العلماء ساعية في بعث حركة علمية تعم الآباء والأبناء، وتحفظ عليهم دينهم ولغتهم وصلتهم بوطنهم العزيز.

4-الإبراهيمي في باريس ثانية(1951-1952):

في ديسمبر1951م سافر الشيخ الإبراهيمي مرة أخرى إلى باريس على رأس وفد جمعية العلماء الذي ضم الى جانب الرئيس، الشيخ محمد خير الدين والشيخ العباس بن الشيخ الحسين، وكان ذلك إبان انعقاد الدورة السادسة للجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة، واغتنم الإبراهيمي هذه

[1] البصائر، العدد 143، 19فيفري 1951، ص7.

الفرصة فأجرى اتصالات بالوفود العربية المسلمة التي أمت باريس لتمثيل دولها في تلك الدورة الأممية مقترحا عليها بذل مساعي لتسجيل القضية الجزائرية في جدول أعمال الجمعية العامة القادمة للأمم المتحدة[1]، وتوصل إلى اتفاق معهم حول قبول بعثات علمية من أبناء الجزائر في جامعاتهم ومعاهدهم العليا[2].

وأقامت شعبة جمعية العلماء في باريس-بالمناسبة- مأدبة على شرف الوفود العربية والإسلامية، حضرها ممثلو الأحزاب الجزائرية، وقد ألقى الإبراهيمي خطابا تاريخيا شرح فيه لضيوفه القضية الجزائرية وقضية المغرب العربي، وكان مما جاء فيه قوله: "أحق أن باريس-وهي منبع شقائنا، وهي الصفحة العابسة في وجوهنا- تترك لحظة عن عاداتها فتتيح لنا أننا نجتمع بين حنياها هذا الاجتماع الرائع؟ فلولا حقوق الأوطان في أعماقنا، ولولا عهود يجب أن نرعاها لديارنا، لكنا نغفر لباريس جميع ما جرته علينا من الجزائر، ونمحوا لها بهذه الحسنة جميع السيئات، ولكن تأبى علينا ذلك دماء في تونس تسيل، وشعب في المغارب الثلاثة يعذب ، وشباب تفتح له السجون والمعتقلات، وتغلق في وجهه المدارس والعابد، ودين في الجزائر ممتهن الكرامة، فهيهات والمصلحة عن باريس أو نصافحها بعد أن جنينا المرة من ثمراتها، وهيهات أن يسميها دار العلم، من لم يرى منها إلا الظلم، وهيهات أن يدعوها عاصمة النور من لم تغشه إلى الظلمات، وهيهات أن يلقبها دار المساواة من لم تعامله إلا بالإجحاف".

لقد كان خطاب الإبراهيمي قطعة نقدية فريدة في بلاغتها وتأثيرها على السامعين،لكن الملفات للانتباه أكثر، هو ماتضمنه هذا الخطاب من إنذار صريح للاستعمار بقرب موعد قيام الثورة التحريرية بالجزائر، وذلك حين قال: "هاهو الشرق رمى باريس بأفلاذ كبده، يدافعون عن حماه بالحق، ويجادلون عن حقه بالمنطق، وما منهم إلا السيف مضاء، والسيل اندفاعا، وان وراءهم لشبابا سينطق يوم يسكتون، وسيتكلم بما يخرص الاستعمار ويسوءه، وإن بعد اللسان لخطيب

[1] د.محمد فاضل الجمالي ، الشيخ البشير الإبراهيمي كما عرفته، الثقافة، العدد87، الجزائر، مايو/يونيو 1985، ص123.
[2] محمد خير الدين، مذكرات، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، ص417.

صامت هوالسنان، واننا لرجال، وإنا لنا لأبناء رجال، وإننا لأحفاد رجال، وان أجدادنا دوخوا العالم ولكن بالعدل، وسادوه ولكن بالإحسان، وإنا فينا لقطرات من دماء أولئك الجدود، وإنا فينا لبقايا مدخرة سيجليها الله إلى حين..."[1].

وخلال هده المدة أيضا اجتمع الشيخ الإبراهيمي بالعمال الجزائريين وإخوانهم المغاربة والتونسيين، وخطب فيهم :" بلغة سهلة بسيطة يفهمها كل من سمعها"[2]مبينا للحالة التي هم عليها، ومرشدا لما يجب أن يقوموا به وأن يتحلوا به من دين وأخلاق في أرض الغرب، وشرح لهم مبدأ جمعية العلماء والعمل الذي تباشره وتقده للمجتمع الجزائري، وحثهم على الاتحاد والعمل لصالح دينهم ووطنهم، ودعته جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا لزيارة ناديها وإلقاء كلمة توجيهية على أعضاءها، فلبى الدعوة"وألقى على مسامعهم خطابا بديعا مؤثرا في مهمة الشباب ، وما تعلق الأمة عليه من آمال ، وما يجب عليه ليحقق ذلك الأمل من حفظ شخصيته ودينه وآدابه ولغته وأخلاقه، والتسلح بالعلم النافع...".

فكذلك أسفر وجود الشيخ الإبراهيمي بباريس عن "اشتراء" عمارة حسنة، تامة المرافق في حي آهل بالمسلمين... لتكون مركز هنالك ومستقر رسمي لجمعية العلماء..."[3].

وهكذا تكللت الزيارات بأعمال عادت بالخير على الجالية الإسلامية بفرنسا، وتحقق بفضل ما صاحب الزيارات من الاتصالات والنشاطات، التعارف المنشود بين رجالات العالمين العربي والإسلامي، واكتسبت القضية الجزائرية وجمعية العلماء شهرة جديدة وفتحت أمامها آفاق رحبة.

[1]– البصائر، العدد 183، مصدر سابق، ص2

[2] البصائر، العدد184، مصدر سابق، ص12.

[3] البصائر، العدد185، 24مارس 1952، ص1.

ثانيا: الطور التنظيم والنشاط الحقيقي 1952-1954

1- تنظيم الحركة:

أصاب نشاط الشعبة المركزية لجمعية العلماء بباريس بعض الركود والخمول[1]، وكان أغلب أعضاء مكتب الشعبة غير متفرغين للقيام بأعمالهم وما تتطلبه من متابعة وجهود متصلة ومتواصلة، فحتى الأستاذ عبد الرحمان اليعلاوي نفسه، لم يكن متفرغا لمهامه كرئيس للشعبة، إذ كان يشتغل موظفا في المصالح المالية، وقد حمله شباب مكتب الشعبة أمثال: عبد الحفيظ أمقران، بشير ازمران، يوسف أمقران، سي الطاهر سي بشير مسؤولية ما آلت إليه الشعبة من ركود.

في هذا السياق، يذكر عبد الحفيظ أمقران، كاتب الشعبة المركزية، أنه حين تم تجديد نشاط الحركة و(تأسيس) الشعبة المركزيةفي أواخر سنة 1959م، وبعد بضعة أشهر من النشاط تحت رئاسة الأستاذ اليعلاوي، تبين لنا نحن شباب المكتب يصعب عليه أن يواكب هذا النوع من نشاط الشباب، لكبر سنه، ويقول: "هذا ما جعلنا نراسل قيادة جمعية العلماء في الجزائر ونطلب منها أن تمدنا بمندوب عنها يكون أقدر على مخالطة العمال وغشيان المقاهي، فاستجابت الجمعية لهذا الطلب فأرسلت الأستاذ الشاعر، والمرشد الفصيح الربيع بوشامة،وكان الربيع قد سبق له أن عمل في فرنسا في الحركة الأولى رفقة الشيخ الفضيل الورتلاني.

ومن المحتمل جدا، أن يكون الشيخ الإبراهيمي قد لمس نفسه، أثناء زيارته الأخيرة إلى باريس، ما جعله يقتنع بضرورة النهوض بنشاط الجمعية في باريس وفرنسا عموما، وهذا إدراكا منه للوزن السياسي.

وعلى ضوء ما سبق، يمكن القول أن انطباعات التي تكونت للشيخ الإبراهيمي من زيارته إلى باريس، إضافة إلى رغبة شباب مكتب "شعبة باريس" في تزويدهم بمندوب نشط، كل هذه

[1] بشير ازمران، أعمال جمعية العلماء وراء البحار، البصائر، العدد237، 17جويلية 1953، ص1.

الاعتبارات قد عملت في اتجاه تعيين الشيخ الربيع بوشامة معتمدا للجمعية بفرنسا التي التحق بها في أواخر شهر أوت من سنة 1952م. وكان الشيخ الإبراهيمي قد أوصى قبل سفره إلى المشرق بضرورة الاعتناء بالجمعية في فرنسا، وهو الذي رشح الشيخ الربيع للقيام بهذه المهمة[1].

لقد نهض الشيخ الربيع بوشامة بالمهمة التي كلف بها ، وأقام بها أحسن قيام، فقد بعث الحيوية والنشاط في الحركة الإصلاحية في أوساط الجالية الإسلامية بفرنسا إلى درجة أن شبه عبد الحفيظ أمقران ذلك بنفس النشاط الذي عرفته الحركة في مرحلتها الأولى قبل الحرب، حين كان على رأسها الشيخ الفضيل الورتلاني،لكن مع ذلك فقد أنهت جمعية العلماء مهمته هذه قبل أقل من سنة، إذ قامت باستدعائه إلى الجزائر ليباشر مهامه السابقة كمعلم ومدير مدرسة" الثبات" بالحراش، وعينت مكانه الشيخ سعيد البيباني الذي تسلم مهمته الجديدة بمطلع سنة 1954م، وظل فيها مدة تزيد عن السنتين، استمرت حلالها حركة العلماء بفرنسا بالنماء والتوسع والنشاط.

2-أهم نشاطات الحركة في هذا الطور:

2-1النشاط التنظيمي:

في هذا الطور توسعت حركة العلماء وانتشرت أفقيا في الأرض الفرنسية، إذ تأسست لها أكثر من عشر شعب جديدة منظمة وقوية في باريس وأقسامها، وبضعة شعب أخرى في مناطق مختلفة من فرنسا وهي :بلقراد(Belgrade)، كنوتانغ، مرسيليا(Marseille)، لاصطاك (L'Estaque)، ليون(Lyon)، نوفيل سيرصون (Neuville-sur-Saône)، روبي(Roubaix). وقد نشرت أخبار تأسيس هذه الشعب وتشكيلات مكاتبها الإدارية تباعا في البصائر.

وفي شهر ديسمبر من سنة 1952م، تم تجديد الشعبة المركزية وتنظيمها، فأصبح الشيخ الربيع بوشامة بمثابة الرئيس الفعلي والعملي بها، بينما اكتفى الأستاذ عبد الرحمان اليعلاوي بالرئاسة الشرفية، وقد ازداد الشعبة في أوساط المهاجرين الجزائريين، وتعددت الاجتماعات العامة

[1] د.جمال قنان، ديوان الشهيد الربيع بوشامة(جمع وتقديم)، المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1994، ص15.

وتضاعف عدد المنخرطين فيها، وتجاوز نشاطها إلى الاتصال ببعض الشخصيات المشرقية المتواجدة في باريس اما لمواصلة الدراسة في الجامعات أو مقيمين لأعمال أخرى[1]. وفي عهد الشيخ سعيد البيباني(1954-1956) أعيد تجديد مكتب الشعبية المركزية عدة مرات.

وكان نشاط الجمعية في فرنسا خلال هذه المرحلة مثل المرحلة التي سبقت الحرب، يعتمد أساسا على اشتراكات المنخرطين وتبرعات المحسنين من العمال وأصحاب المقاهي والمطاعم والتجار الجزائريين المتواجدين في فرنسا، وكان بعض هؤلاء ينفقون بسخاء في سبيل أعمال ومشاريع الجمعية.وبطبيعة الحال فإن الجمعية لم تكن تتلقى أي دعم مالي أو مادي من قبل السلطات الفرنسية. لأن إيجاد الأماكن والمقرات لنشاط الجمعية في فرنسا، في هذه الفترة، كان يتطلب أموالا طائلة لغلاء أسعار الكراء، فقد حاول رئيس جمعية العلماء المسلمين الشيخ الإبراهيمي خلال رحلته إلى المشرق إثارة اهتمام الحكومات الإسلامية ولفت أنظارها إلى العمل الذي تقوم به الجمعية في فرنسا من أجل إنقاذ المغتربين وأبناءهم، ذلك أن "هذا الواجب ليس مقصورا على الجمعية العلماء الجزائريين وحدها، بل على المسلمين كلهم، وفي طليعتهم الحكومات العربية..."[2].

2-2التعليم والإرشاد:

تقوم الشعبة المركزية والشعب الفرعية لجمعية العلماء في فرنسا بتهيئة أقسام لتعليم أبناء المهاجرين الجزائريين اللغة العربية والقرآن العظيم ومبادئ الدين الحنيف، وفي الوقت ذاته تعمل على توعية العمال الجزائريين كي يحافظوا على دينهم وأخلاقهم وانتسابهم إلى وطنهم الجزائر، حتى لا يذوبوا في جسم المجتمع الفرنسي، عن طريق الوعظ والإرشاد، سواء في المجتمعات العامة التي تقام في القاعات المشهورة في باريس وغيرها أو في مستوى مكاتب الشعب.

[1] أمقران، مذكرات، مرجع سابق، ص31.

[2] آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج4(1952-1954)، جمع وتقديم نجله: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت،ط1 ،1997، ص(168-169).

وكانت الجمعية تكثف من أعمالها هذه خاصة في شهر رمضان، ففي مطلع سنة 1953م، نظمت حملة واسعة قبيل حلول رمضان بهدف الدعوة إلى الدين الله، والوقوف عند جدود واحترام حرمة رمضان المبارك، ووزعت جماعة من الطلبة على اختلاف الجهات لدروس الوعظ والإرشاد ولإحياء ليالي رمضان بإقامة صلاة التراويح بعثا للسنة النبوية الشريفة، وقد أثمرت سعيها واستجابت الأغلبية من الأمة لدعوتها الصادقة حتى صام وصل من لم يصم و لم يصب منذ عشر سنوات وخمس عشر سنة باعترافهم[1].

2-3 إحياء المناسبات الدينية والوطنية:

تحدث السيد بشير ازمران، كاتب الشعبة المركزية، في البصائر عن ثلاث مناسبات عظيمة احتفلت بها الشعبة المركزية حين كان على رأسها الشيخ الربيع بوشامة، الأول ذكرى مرور ثلاثة عشر عاما وفاة رائد النهضة الجزائرية الإمام ابن باديس، حضرها إلى جانب الشيخ الربيع وأعضاء الشعبة المركزية، بعض الشخصيات المشرقية، بعد افتتاح الحفل بآيات من القرآن، قام الشيخ الربيع فرحب بالجمهور وشكر لهم إقبالهم على الجمعية، وأعطى خلاصة وافية لحياة الإمام ابن باديس وجهاده، ثم تعاقب على منصة الخطابة كل من: عبد القادر زموري الطالب بالمعهد الباديسي سابقا، الأستاذ عبد الغفور الهندي، السيدة حرم عمار رواق وهب إحدى تلميذات الإمام الفقيد، الشيخ محمد خير من سوريا، الشيخ صبحي الصالح من لبنان. ثم تقدم الشيخ الربيع ثانية ليوضح للناس معنى الذكريات في حياة الأمم وتاريخها والأغراض السامية التي تقام من أجلها الاحتفالات وهي التأسي بكفاح عظمائها واقتفاء آثارهم والسير في طريق الحياة على منوالهم، وليلخص كل ما قيل في الموضوع تلخيصا شاملا، وكان لا يكتفي في كلامه باللغة الفصحى، بل يتنازل-أيضا ليفهم الجميع- إلى العامية والقبائلية، ويتخلل كل ذلك أناشيد حية سجية تشنف الأسماع[2].

[1] البصائر، العدد 237، 17 جويلية1953، ص1.

[2] البصائر، العدد 238، 31 جويلية 1953، ص1.

أما المناسبة الثانية، فهي 17رمضان المبارك، يوم بدر الكبرى، فقد أقيم في هذا اليوم "حفل مهيب...وكان إقبال الأمة عليه لا يقل عن إقبالها على ذكرى ابن باديس بحيث غصت بهم القاعة رغم رحبها، ورغم الصيف اللاذع في أيام الصوم..."، كما "... لم تستطع مباهج باريس ومفاتنها، وما أكثرها، أن تحول دون حضور مثل هذه المجالس المباركة السعيدة...". وكان ممن خطب أو ألقى كلمة في المناسبة: الشيخ الربيع بوشامة، الاحتفال الثالث فكان بمناسبة عيد الفطر المبارك 1953م، وقد " كان الإقبال عليه أكثر من سياقه وأروع..."، خطب فيه أساتذة من الجزائر ومن المشرق.

خلاصة القول، أن في هذا التطور تجدد عهد الاجتماعات الكبرى والحفلات التي يشترك فيها، ليس الجزائريين فحسب، بل يشترك فيها أبناء الجاليات العربية الإسلامية على اختلاف أقطارهم، كما كان الأمر في عهد الشيخ الفضيل الورتلاني. فيحضرها السوري واللبناني والمصري والأفغاني والباكستاني والهندي والمغربي والتونسي..الخ، وأصبح علماء المشرق ومثقفيه وطلبته في مقدمة من تزدان بهم منصة الخطابة.

2–4دور الجمعية في محيطها السياسي والاجتماعي:

وفضلا عن هذه المهام الرئيسية، كانت شعب جمعية العلماء بفرنسا تقوم بأعمال أخرى، ثقافية واجتماعية: كتوزيع وبيع جرائد جمعية العلماء: البصائر والشاب المسلم " Le Jeune Musulman"، والإشراف على زواج المسلمين، واستقبال الفرنسيين الذين اعتنقوا الإسلام، وتقديم الخدمات للمهاجرين مثل الإسعافات الطبية، وكذا القيام بالأعمال السياسية، من ذلك مساعدة بعض اللاجئين السياسيين، مثل الزعيم السياسي التونسي صالح بن يوسف الذي أخفى رجال جمعية العلماء وساعدوه على الهرب إلى المشرق العربي[1].

[1]أحمد حماني، صراع بين السنة والبدعة، ج2، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، ط1، 1984،ص273،

وكان لبعض الشعبة المركزية، فضلا عن نشاطاتهم العلنية في إطار الشعبة، نشاطات أخرى من حقل السياسي السري، ولعل أبرز المشتغلين في هذا الحقل المناضل عميروش آيت حمودة. فإلى جانب أدائه لمهامه العادية كمراقب ثان للشعبة المركزية، ورئيس للشعبة الجمعية في القسم الخامس عشر من باريس، كان عميروش أيام الأزمة التي تعرض لها حزبه السابق"حركة الانتصار" يلتقي من حين إلى آخر، في أماكن سرية من باريس، مع بعض أصدقاءه القدامى قصد التدريب على بعض التقنيات من أجل الاستعداد للعمل الثوري، مثل تعليم الشفرة، وصنع القنابل التقليدية التي سبق وأن تعلم تقنيتها في المنظمة الخاصة[1].

وحين اشتدت الأزمة في صفوف حركة الانتصار بين الرئيس مصالي الحاج وأعضاء اللجنة المركزية للحزب، وتأسست في الجزائر"اللجنة الثورية للوحدة والعمل"(CRUA) بهدف لم الشمل وتوحيد الحزب حتى يشرع في الإعداد للثورة المسلحة، كان عميروش ممن اتصل بهم المناضل ديدوش مراد، وهو أحد أعضاء اللجنة، وطلب منه تأسيس فرع لها بباريس، ومن هنا كان ميلاد الخلية الأولى، وربما الوحيدة، لهذه اللجنة في فرنسا، وتكونت بصفة سرية من المناضلين: عميروش آيت حمودة، عبد الحفيظ أمقران، سعيد مداح، بشير ازمران، الطاهر سي البشير، سعيد حواسين، أحمد صخري[2]، وهؤلاء كلهم كانوا أعضاء في الشعبة المركزية لجمعية العلماء.

يذكر الشيخ عبد الحفيظ أمقران أن هذه المجموعة كانت في البداية تعقد اجتماعاتها قي مقر الشعبة المركزية، ب"سان دوني"، لكن منعت من ذلك من قبل الرئيس الشرفي للشعبة الشيخ عبد الرحمان اليعلاوي الذي كان يتهم شباب الشعبة بأنهم حولوا حركة الجمعية إلى عمل سياسي وسري، وأنهم يخفون عنه أعمالا لا يدركها، لاسيما عندما عرف سوابق المناضل عميروش في النضال السياسي في صفوف حركة الانتصار، وهو ما جعل هذه الجماعة تعقد اجتماعاتها ولقاءاتها في غرف المناضلين أو في الحدائق العامة بباريس بطريقة لا تثير انتباه الفضوليين والشرطة الفرنسية.

[1] شوقي عبد الكريم ، دور العقيد عميروش في الثورة الجزائرية، دار هومة، الجزائر،2004،ص5

[2] عبد الحفيظ أمقران، مذكرات، مرجع سابق، ص34.

أما عن نشاطات هذه المجموعة فيقول الشيخ عبد الحفيظ: "نتلقى أخبار التنظيم بعاصمة الوطن، ونبحث عن الكتب والوثائق التي تساعدنا على فهم الخلايا السرية في التنظيم الفوري، وساعدنا في هذه الفترة بصفة سرية الطالب المصري أحمد كمال أبو المجد....".

ثالثا : انخراط الجمعية في العمل الثوري:

1- اندلاع الثورة الجزائرية ومصير الحركة:

كانت جمعية العلماء قد أيدت الثورة منذ أيامها الأولى على لسان رئيسها في القاهرة، وفي الداخل التحق بعض رجالها فرادى بجبهة التحرير الوطني منذ البداية أيضا، وكان قادتها أمثال: العربي التبسي ومحمد خير الدين وأحمد توفيق المدني والربيع بوشامة وإبراهيم مزهودي وغيرهم على صلة بقادة الثورة، فكانوا يقومون بدور هام لصالح الثورة في مجال الإعلام والاتصال والدعاية والتوعية وحث الناس على الالتحاق بالثورة، ومع ذلك فقد بقيت الجمعية تمارس نشاطاتها التربوية والإعلامية في العلن، وفي الإطار القانوني، إلى أن أعلنت رسميا عن تأييدها المطلق للثورة ولجبهة التحرير الوطني في البيان الذي أصدره مجلسها الإداري ونشره على صفحات البصائر ووزع على وكالات الأنباء بتاريخ السابع من جانفي 1956م.

وفي فرنسا أيضا لم يتوقف نشاط حركة العلماء باندلاع الثورة في نوفمبر1954م، فقد استمرت شعب العلماء بها في أداء رسالتها العلمية والوطنية في أوساط المهاجرين رغم ما كان يعترض له أنصارها من مضايقات وملاحقات من قبل الشرطة الفرنسية، على أن نشاط العلماء في فرنسا خلال هذه المدة لم يقتصر على حقل التربية والإرشاد، بل تعداه إلى العمل السياسي السري. فقد كان لمندوب الجمعية في فرنسا الشيخ سعيد البيباني نشاطات واتصالات بخلايا جبهة التحرير الوطني بفرنسا[1]،بهدف تنظيم الجالية الجزائرية في المهجر وتأطيرها لصالح الثورة، كما كان في

[1] محمد الحسن فضلاء ، من أعلام الإصلاح في الجزائر، ج3، مرجع سابق، ص134.

اتصال مستمر مع الشيخ العربي التبسي في الجزائر لتنسيق العمل في هذا الاتجاه..."تم تجنيد الكثير من الجزائريين المقيمين بفرنسا، وأرسلوا إلى أرض الوطن ليلتحقوا بصفوف الثورة في الجبال.."[1].

لقد كانت مراكز العلماء في باريس وليون ومرسيليا وغيرها من المدن الفرنسية تتعرض باستمرار للمداهمة والتفتيش من طرف الشرطة الفرنسية، وأنصارها يتعرضون باستمرار أيضا للاعتقال والاستنطاق والتعذيب[2]، وكان الشيخ سعد البيباني قد ألقي عليه القبض عدة مرات، ومع ذلك فقد استمر رجال الحركة المخلصين يقومون بأعمالهم غير مبالين بما يتعرضون له من قمع الاستعمار، وظل الشيخ البيباني يقوم بدوره الخطير لصالح الثورة إلى أن اضطر إلى مغادرة فرنسا في شهر أكتوبر من سنة 1956م، بعد أن أصبح مطلوبا من قبل الشرطة ومن أنصار الحركة المصالية.

ونظرا إلى الاعتبار والثقة اللذان يتمتع بهما الشيخ سعيد البيباني في أوساط المغتربين الجزائريين بفرنسا، فقد كان الكثير من هؤلاء، ومنهم جماعات من المصاليين، يلجؤون إليه للاستفسار عن الحقيقة جبهة التحرير، ومدى صدقها تجاه القضية الوطنية، ومع ذهاب الشيخ البيباني، تولى أخوه الشاب علي بوتقريجتمهمة تنوير هؤلاء وتوضيح بعض الأمور لهم، وبالفعل فقد تمكن في إحدى المرات–حسب ما أورده مقاله المذكور أنفا– من إقناع جمع من حوالي خمسمائة عامل تعود أصولهم إلى الغرب الجزائري، فأصبحوا يؤدون اشتراكهم لجبهة التحرير، بينما كانوا من قبل يؤدونها "للحركة المصالية".

وهكذا إذن، تحولت مراكز جمعية العلماء في فرنسا إلى خلايا حية، عاملة في نظام جبهة التحرير الوطني منذ اندلاع لهيب الثورة الجزائرية في سنة 1954م[3].

[1]Ali BOUTEKADJIRT :La vie de cheikh Saïd El-Bibani,(htt : //el-bibani-blogspot.Com/),3 Février 2008.

[2] البصائر، العدد 305، 11 فيفري 1955، ص2، والعدد324، 25 جوان 1955، ص5.

[3] علي مرحوم، مواقف من جهاد الشيخ الفضيل الورتلاني، الثقافة، العدد 34، أوت– سبتمبر 1976، ص55.

رابعا: تراجم لأبرز الناشطين في فرنسا في مرحلة 1946–1954

1- عبد الرحمان اليعلاوي:

الشيخ عبد الرحمان اليعلاوي رجل علم وثقافة، ناضل في الحقل السياسي والإصلاحي، في تونس أولا ثم في الجزائر ثم في فرنسا. وهو ينحدر من أب جزائري وأم تونسية، ولد ونشأ في بلدة سوق الأربعاء بتونس، وتابع تعليمه في جامع الزيتونة إلى أن نال درجة" التطويع". واكب النهضة الثقافية بتونس وشارك فيها بقلمه، وانخرط في صفوف الحزب الدستوري التونسي، وكان له نشاط بارز فيه، وكان من رفاقه في هذا الحزب الشيخ أحمد توفيق المدني.

-هجرته إلى فرنسا ونشاطه هناك:

هاجر إلى فرنسا في حوالي سنة 1932م، استقر بباريس، والظاهر أنه في هذه المدة أكب على تعليم اللغة الفرنسية بالاعتماد على مجهوده الخاص، "فأتقنها تكلما وكتابة"[1]، حتى أصبح "يترجم عنها واليها كأحسن ما يترجم الذين حذقوها في مدارسها من الصغر".

وربما كان الشيخ عبد الرحمان اليعلاوي من الذين أعانوا الشيخ الفضيل الورتلاني في المرحلة الأولى من نشاط العلماء في فرنسا، أي قبل الحرب العالمية الثانية، وان لم يتردد اسمه في حفلات النوادي في هذه المدة، ومما يجعلنا نرجح مشاركته كلام الشيخ الإبراهيمي الذي قال عنه: ".. ومن إخلاصه، تفانيه في نشر مبادئ جمعية العلماء، وإنفاق الفضل من أوقاته في التبشير بها والدعوة إليها" [2]. ومما يعزز ما ذهبنا إليه، اختيار الشيخ اليعلاوي كمعتمد لجمعية العلماء في فرنسا وأوربا كلها بعد الحرب. يقول الإبراهيمي: "يشغل الأستاذ اليعلاوي من وظائف جمعية العلماء رئاسة شعبتها بباريس منذ سنين، وهو معتمدها الوحيد ومرجعها في كل ما لها من علائق وشؤون وراء البحر، والجمعية تثق الثقة التامة برأيه وأمانته، كما تثق بعلمه وعقيدته، وتركن إلى عقله وأناته،

[1] البشير الإبراهيمي، حركة جمعية العلماء بباريس، البصائر، العدد 148، 26 مارس 1951، ص3.
[2] البصائر، العدد 148، 26 مارس 1951، ص3.

كما تركن إلى صدقه وإخلاصه، وتفخر بأن يكون مثله في استكمال التجارب وسعه الاطلاع على رأس حركتها في فرنسا".

كانت الحركة في حاجة إلى الجهود مضنية للقيام ببعض الواجب تجاه الجالية، و لم يكن الشيخ اليعلاوي متفرغا لشؤون الحركة، وربما كان ذلك هو العامل الأساسي الذي دفع جمعية العلماء الى تعيين الشيخ الربيع بوشامة كمعتمد لها في فرنسا في صيف1952م، فتولى بوشامة رئاسة الشعبة المركزية، بينما استمر اليعلاوي في نشاطه كرئيس شرفي للشعبة المركزية في باريس[1].

وللأسف لا ندري شيئا عن نشاط الشيخ اليعلاوي بعد ذلك، فكل ما نعرفه عنه هو أنه التحق بالثورة، وبعد تكوين الحكومة المؤقتة في سنة 1958م استقدمته للعمل ضمن وزارة الشؤون الاقتصادية والمالية التي كان يرأسها آنذاك أحمد فرانسيس، وعاش في ظل إلى أن التحق بجوار ربه. وهكذا تبقى أغلب فترات حياة الشيخ اليعلاوي ونضاله مجهولا لدينا بما في ذلك تاريخ ولادته وتاريخ وفاته.

2- الربيع بوشامة:

الربيع بوشامة، شاعر ورجل فكر وثقافة، شارك في الحركة الإصلاحية، وفي ثورة التحرير إلى أن سقط شهيدا في سنة 1959م. ولد بقرية قترات بمنطقة بني يعلى ولاية سطيف سنة 1916م، بدأ تعليمه في الكتاب بحفظ القرآن الكريم فختمه حفظا في الثانية عشرة من عمره على يد شيخه الصديق بن عبد السلام. ومنذ السابعة من عمره أدخله والده المدرسة الفرنسية التي أنهى بها المرحلة الابتدائية، وبعد ذلك تفرغ لأخذ العلم على شيوخ المنطقة وعلمائها أمثال: سعيد صالحي، العياشي مزغيش، الهاشمي بالمولود، علي الزموري وغيرهم. ولقد أظهر حرصا كبيرا في تحصيل العلوم والمعارف العربية، وكون لنفسه مكتبة ثرية منذ صدر شبابه لتساعده على التكوين الشخصي.

[1] البصائر، العدد 213، 116 جانفي 1953، ص7.

خلال عقد الثلاثينات كانت منطقة بني يعلي إحدى مراكز الإشعاع الوطني والإصلاحي، وفي هذه البيئة العلمية الصالحة شب الربيع بوشامة ومتن صلاته بالحركة الإصلاحية التي كان يقودها آنذاك في المنطقة الشيخ سعيد صالحي، والشيخ الفضيل الورتلاني، ودأب على قراءة مجلة الشهاب التي كانت تصله بانتظام. ومنذ سنة 1937م أصبح عضوا عاملا في جمعية العلماء، وقام رفقة نخبة من شباب القرية ناديا للشباب، وفي الوقت ذاته أخذ يساعد أستاذه الشيخ صالحي في حلقات التدريس بالمسجد.

في أوت من سنة 1952م انتدبته جمعية العلماء للإشراف على حركتها بفرنسا، لكن بعد أقل من سنة أنهيت مهمته في باريس، فعاد إلى الجزائر و إلى إدارة مدرسة الثبات بالحراش، وواصل نشاطه التعليمي بصفة عادية حتى اندلاع الثورة في أول نوفمبر1954م.

بالطبع لم يتردد عن دعم الثورة بكل ما يستطيع، خاصة وأنه كان على معرفة تامة بأحد قادتها، وهو الشهيد آيت حمودة عميروش، إذ كانا قد عملا معا في الشعبة المركزية لجمعية العلماء لما كانا بباريس. وهكذا مضى الشيخ الربيع بوشامة يجند الشباب للثورة، ويدعو الشعب إلى الالتفاف حولها، ويجمع لها المال، ويجزي اتصالات بجيش التحرير الوطني، غير أن كثيرة تنقلاته بين العاصمة وشرق البلاد أثارت انتباه المستعمر، فتم إلقاء القبض عليه صباح يوم 16 جانفي 1959م وهو في مدرسة الثبات، وبعد خمسة أشهر قضاها في مراكز الاستنطاق والتعذيب، تعرض خلالها لأبشع أنواع التعذيب، اغتيل يوم 13ماي 1959م أمام بلدية بودواو، ويبدو أن علاقته بالعقيد عميروش، ونشاطه في فرنسا من قبل قد استغل ضده استغلالا شديدا، وربما عد ذلك في نظر الاستعمار جرما كبيرا.

وانتدب الشيخ الربيع بوشامة للعمل ضمن حركة جمعية العلماء بباريس مرتين، كانت المرة الأولى قبل الحرب العالمية الثانية، إذ سافر رفقة أستاذه الشيخ سعيد صالحي اثر عودته إلى باريس في بداية شهر جويلية من سنة 1938م. كانت نوادي التهذيب بباريس قد هيأت عدة احتفالات

لشيخ سعيدة صالحي اثر وصوله، فكان الشيخ الربيع من المشاركين في هذه الاحتفالات، ففي اجتماع عقد يوم 25 جويلية 1938م بنادي كليشي، حضره الشيخ الفضيل الورتلاني، كان الربيع من المشاركين فيه، إذ نقرأ في البصائر: ".. ثم قام الأستاذ الربيع بوشامة وألقى خطابا مكتوبا أبدع فيه كالإبداع وأجاد فيه كل الإجادة.." [1].

[1] البصائر، العدد:132، 23 سبتمبر 1938م، ص8.

الفصل الرابع

نشاط الجمعية وردود الفعل المختلفة

أولا: تأثير الجمعية في فرنسا:

1- في الجالية الجزائرية:

كان لعمل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بفرنسا الأثر المحمود في وقاية العمال الجزائريين هناك من مكان يهددهم في عقيدتهم وأخلاقهم ووطنيتهم، ذلك إن الكثير من أولئك العمال الذين كانوا يشرفون على الانحلال والذوبان في الوسط الفرنسي قد نجوا من هذا المصير المشؤوم بفضل ما سمعوا من إرشاد وتنبيه من وعاظ بعثة العلماء.

يروي الشيخ محمد الصالح بن عتيق، وهو ممن اشتغل مدة في العمل الإرشادي بفرنسا إلى جانب الشيخ الفضيل الورتلاني، فيقول: "... اتفق الفضيل الورتلاني مع صاحب مقهى قبائلي يتردد عنده كثير من المهاجرين، على عقد اجتماع هناك للاتصال بأولئك المهاجرين المشردين، وعندما ذهبنا إلى ذلك المقهى وجدنا عددا كبيرا منهم موزعين في زوايا المقهى وبجانب كل واحد كاس من الخمر، والبعض من هم مصحوبين بالنساء والفتيات، فطلب منهم صاحب المقهى قائلا لهم: إن هناك جماعة تريد التحدث إليكم، وكانوا يتصورون أننا فرقة من المغنين، أو الممثلين في المسرح، فتقدم لهم الفضيل وخاطبهم باللغات الثلاث (العربية والقبائلية والفرنسية)، و أخذ يضرب على الوتر الحساس، وذكرهم بنخوتهم ورجولتهم، وحذرهم من ضياع أعمارهم هناك بفرنسا وتعرض أمهاتهم وأخواتهم ونسائهم في الجزائر للمهانة والاعتداء على شرفهن من طرف رجال الاستعمار الفرنسي، وتأثروا جميعا وبكوا. ولم ينتهي الاجتماع حتى اتفقوا جميعا على تكوين نادي هناك للجمعية، والالتفاف حوله والتخلي عن كل الرذائل، والتفكير في مستقبلهم ومستقبل أسرهم وعائلاتهم وبلادهم الجزائر"[1].

نعم، إنالآلاف من أولئك العمال الذين كانوا تائهين، لا يرتادون إلا المقاهي ودور السينما والحانات وغيرها من مواطن اللهو والفجور، وما أكثرها آنذاك في فرنسا وباريس بصفة خاصة، وقد أصبحوا- بفضل رسل الهداية الإسلامية الذين بعثت بهم جمعية العلماءيسعون في سبيل تأسيس

[1] يحى بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج1، دار الغرب الإسلامي، ببيروت، ط1، ص 178-179.

النوادي، ويبذلون المال – تعلم ما كان هو من حمامة – تأثيثها وإيجاد المقرات لها، ويؤمونها السماع الدروس والمحاضرات في الدين واللغة والثقافة الإسلامية، ومن له أبناء هناك يرسل بهم إلى النوادي ليتعلموا لغة الضاد وقيم الأجداد. وطبيعي أن يكون لكل ذلك ثمار مباركة، ونتائج ملموسة، نتائج نلمسها في عمال كانوا من قبل أميين يجهلون تماما العربية والفرنسية، فأصبحوا يتكلون ويكتبون باللغتين، ويقومون بمراسلاتهم بأنفسهم، وبراعم بتلون آيات القرآن وينشدون بأصوات رنانة تأخذ بالمشاعر والإحساسات، وتلاميذ لم يغشوا قبل مدرسة أصبحوا يلقون الخطب بفصاحة تثير إعجاب العلماء أنفسهم، نتائج نلمسها أيضا في نفوس زكت، وأخلاق تهذبت، وسوء فعال هجرت إلى غير رجعة!!

وصف الشيخ سعيد صالحي التحول الذي عرفته الجالية الجزائرية في باريس بفضل عمل النوادي فقال: «قبل اليوم، كانت الجالية الجزائرية في باريس لا إحساس لها ولاشعور، ولا تعرف للدين حقيقة ما، حسبها الفسق والعصيان، وشرب الخمر والقمار، أما الآن – والحمد لله – قد أحست وشعرت ونشر فيها الإصلاح، وبثت الدعاية وربيت النفوس وهذيت الأخلاق، وأسست الجمعيات، وفتحت النوادي والمساجد، والحمد لله على حالة الجزائريين في باريس اليوم ونهضتها وحركتها الإصلاحية».

وفي تصريحه الطويل الذي نشرته جريدة "الدفاع" تاريخ: 10 أكتوبر 1937م، حلل الشيخ الفضيل الورتلاني حالة الجالية الجزائرية بفرنسا، وبعد أن تحدث عن حالة الإهمال التي كانت عليها قبل ظهور النوادي، قال: «... أما اليوم، فإن الوضع قد تبدل تماما بفضل الأعمال التربوية التي تقوم بها، بصورة منتظمة وذكية، نخبة من العلماء الشباب في نوادينا. إن إخواننا العمال قد أصبحوا يعرفون جيدا حقوقهم وواجباتهم، ويشعرون بقيتهم وشرفهم، فتراهم الآن يتعلمون وينظمون أنفسهم، ويتعارفون فيما بينهم، وهناك علاقات صداقة وأخوة قوية أخذت تتولد بين هؤلاء الرجال البسطاء الشجعان، وهم الذين كانوا، بالأمس القريب يتخاصمون ويتنازعون لأتفه الأسباب".

والواقع أن المتتبع لمصحف جمعية العلماء وبعض الصحف الجزائرية الأخرى، في أواخر الثلاثينيات من القرن الماضي، ليقف على أشياء بالغة الأهمية تتعلق بيقظة مهاجرينا بفرنسا وتلاحمهم آنذاك، رغم الظروف الصعبة والسياسة الاستعمارية المفرقة. فهؤلاء عمال "بني أورير" المقيمين باريس يؤسسون "جمعية النهضة" ويقررون في إحدى اجتماعاتهم السعي لترميم المسجد الكبير بقريتهم، وإرسال بعثة علمية إلى قسنطينة أو تونس على نفقة جمعيتهم. وهؤلاء أبناء قرية "الشريعة" يؤسسون بباريس "جمعية الإسعاف" ، ويقررون"جمع التبرعات لبناء مدرسة عربية بالقرية لتثقيف أبنائها تثقيفا إسلاميا عربيا"، وعملة باريس من بلدة "أقبو" يجتمعون بنادي "إبرفيلي" ويعلنون عن تأسيس الجمعية أخوة "أقبو" ويوجهون إلى إخوانهم في أرض الوطن نداء يعلمونهم بذلك، و يعلنون لهم أن الغرض من هده الجمعية هو الدفاع عنهم ضد ظلم الولاة المستبدين، وأهم تعاهدوا، بعد أن عاهدوا الله، على أن يضحوا في سبيلهم بكل عزيز لديهم، ليطلبوا منهم في الأخير أن يمدوا لهذه الجمعية يد العون بتأسيس فروع لها «فوق ذلك التراب العزيز لتمتين جبهة الدفاع و تقوية شوكته ».

وهؤلاء عمال منطقة "البيبان" يجتمعون بباريس تحت شرف أخيهم الشيخ سعيد البيباني ويعلنون عن تأسيس "جمعية حياة البيبان" (Reveil des Bibans)"تعمل لنشرالثقافة العربية في بلدة البيبان، وتهتم بما تحيط من الأخطار بالقطر الجزائري المنكود الحظ...".

وهذه "جمعية الدفاع والمراقبة" لبني ورتلان تأسست بباريس على أيدي أبناء بني ورتلان، وقد حددت الغرض من تأسيسها وهو: " إنقاذ هذا الجزء، الذي لا يتجرأ من القطر الجزائري، الذي بلغ من الانحطاط إلى أقصى درجة من ظلام الجهل وسوء الأخلاق ولظي الهمجية".

لم يكتب للعمل الإرشادي الذي بدأته جمعية العلماء في فرنسا منذ سنة 1936م أن يستمر ويتواصل من دون انقطاع، فقد جاءت الحرب العالمية الثانية بويلاتها فأوقفت العمل، وقضت على كل مؤسسات الحركة، وفرقت شمل أنصارها والعاملين فيها، فاضطرت الجمعية بعد الحرب إلى العودة إلى نقطة البداية لتستأنف نشاطها وسط صعوبات وعراقيل جمة – كما رأينا في

الفصل السابق – ومع ذلك، فإنها استطاعت أن تحقق نجاحات، وتنشر الوعي من جديد وسط جاليتنا في المهجر، فكان لذلك دوره في رفع معنويات أفراد الجالية ، وحملهم على احترام الصوم، واجتناب ما هو محرم كالخمور ولعب الأوراق، والحفاظ على ارتباطهم بوطنهم. بل إن أولئك المهاجرين الذين كانوا تائهين، أصبحوا يعودون إلى وطنهم في المدن والقرى بقلب تنير جوانحه عقيدة صحيحة، ولسان يتكلم العربية، ويد صانعة ماهرة، وجيب عامر بالمال، وطموح وطني نحو التحرر والانعتاق[1]!!.

في كل شهر بأعز ما لدينا من المال وتشجيعا لأولئك الحفظة الكرام المراقبين لتلك المؤسسات الخيرية المخلفة من وراءهم.."، وفي مقدمة هؤلاء المهاجرين السيد الحاج لونيس براهيمي. وكانت جريدة البصائر حريصة على نشر قوائم المتبرعين لمشاريع الجمعية والمبالغ التي تبرعوا بها، وذلك تنويها بالمحسنين وتحفيزا لغيرهم حتى يحذوا حذوهم.

وهكذا أصبح عمالنا وهم وراء البحر، يهتمون بما يجري في وطنهم، ويشاركون مشاركة فعالة في بناء نهضته، ويتطلعون إلى غد أفضل، ويوم يتحرر فيه هذا الوطن من ظلمات الجهل، وقيود الاستعمار، ويستعيد مكانته كما كان في عهوده الزاهرة.

2 – في الجاليات العربية والإسلامية بفرنسا:

إن نشاطات جمعية العلماء المسلمين في فرنسا–كما سبق وأن رأينا – لم تكن مفتوحة للجالية الجزائرية هناك فحسب، بل كانت مفتوحة لكل الجاليات العربية والإسلامية على اختلاف أجناسها وأوطانها، ممن يتوارد أبنائها على تلك الديار، لذلك فإن أثر هذه الأعمال وإشعاعها لم يقتصر على الجزائريين وحدهم، وإنما عم تلك الجاليات كلها، ولا شكأن كثيرون هم أبناء وشباب فترة الثلاثينات إلى الخمسينات من القرن الماضي، من أساتذة وطلاب مصر والشام والهند وتونس والمغرب والعراق واندونيسياوغيرها من تأثر بهذه الحركة الفريدة من نوعها آنذاك في ديار الغربة،

[1]– يحى بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج1، دار الغرب الإسلامي، مرجع سابق، ص195–198.

وبقي يحتفظ بذكريات جميلة عنها.

يصف السيد وائل محمد الصغير- كاتب جمعية التهذيب بباريس- الجو الثقافي والديني الذي أوجدته حركة العلماء في فرنسا خلال مرحلتها الأولى، أي في أواخر الثلاثينات، فيقول: "لقد كان للزعيم الورتلاني، أعظم جهاد في هذه البلاد الأوربية وفي العاصمة الفرنسية بالذات، حتى انك لتشعر في أيامه وأنت في باريس، كأنك في إحدى كبار عواصم الشرق، من حيث الجو الإسلامي والعربي، وكان لي شرف مصاحبته في تلك الفترة الكريمة، وكان لي عمل متواضع معه، ففي باريس وحدها فتح الورتلاني خمسة عشر ناديا يتردد على كل واحد منها آلاف من أبناء المسلمين، يتلقون الدروس، ويسمعون المحاضرات، ويؤدون فروض العبادة، ويحبون تعاليم الإسلام وفضائل العروبة، ويكافحون الاستعمار، وكانت هذه الأندية مثابة لكل شرقي يترل في هذه البلاد الأوربية، وإني أذكر تلك الاجتماعات التي كان يخطب فيها على الآلاف المؤلفة من المسلمين، جمع كبير من رجال الإسلام على اختلاف أوطانهم..."[1].

والواقع أن تأثير نشاط العلماء في فرنسا لم يقتصر على العامة من أبناء الجاليات الإسلامية المقيمين في فرنسا، بل شمل حتى الخاصة منهم، أي طبقة العلماء، وهنا أكتفي بإيراد هاتين الشهادتين، لاثنتين من الشخصيات المشرقية: الأولى للشيخ محمد عبد الله دراز من مصر والذي احتك بحركة العلماء وشارك في نشاطاتها خلال فترة الثلاثينات، والثانية للأستاذ علي أحمد الزبيدي من العراق الذي حضر بعض نشاطات العلماء خلال فترة الخمسينات:

خاطب الشيخ دراز مرة الجمهور في محاضرة له في إحدى احتفالات نادي التهذيب فقال : «أوصي نفسي بتكرار الزيارة لمثل هذه الاجتماعات العلمية الجليلة، لأني تبدلت نشاطا، وازددت حزما وعزما وقوة، كما أوصيكم بالمواظبة عليها لأنكم مثلي تحسون إحساسي بهذه الجاذبية الإسلامية القوية!»[2].

[1]- الفضيل الورتلاني، الجزائر الثائرة، مرجع سابق، ص480.

[2]- البصائر، العدد 77، 30 جويلية 1937، ص7.

أما الأستاذ علي احمد الزبيدي فقد قال في محاضرة ألقاها بإحدى الاجتماعات التي أقامتها الشعبة المركزية لجمعية العلماء في مركزها بحي سان دوني: "رغم مفارقتي لوطني منذ خمس سنوات. إنني لا أشعر في هذه اللحظة السعيدة بوجودي في باريس، بل أشعر كل الشعور كأنني في بغداد، بلادكم وبلاد كل عربي شريف..."[1].

3- في الوسط الفرنسي:

لم يقتصر العلماء في دعوتهم على الجالية الإسلامية المقيمة بفرنسا، فقد سجل العنصر الفرنسي أيضا حضوره في نوادي العلماء. فعلى سبيل المثال نقرأ في أحد أعداد "البصائر" وصفا لمهرجان عظيم أقامته جمعية التهذيب بباريس ما يلي: « لقد امتاز احتفال 10 جويلية الرهيب بأشياء خطيرة لم توجد في الاحتفالات السالفة على تنوعها وكثرتها، أولها: حضور السيدات الفرنسيات...»[2]. وعلق الكاتب على ذلك بقوله: «وهذا الحضور له حسابه من ناحية انتشار الحركة وتغلغلها في أرجاء باريس وإرغام الجمهور على الاعتراف بها والعمل لتقويتها بجد وثبات، على رغم المعارضين لانتشار العلم والدين والثقافة والهداية الإسلامية في الطبقات المحرومة حرمانا مميتا – قبل وجود جمعية العلماء– من الحياة الدينية والاجتماعية لأنها دعوة إلى الحق تنفذ إلى الصميم و الأعماق»، وقد كان ممن حضر هذا الحفل أيضاء، فرنسيان جديدان في الإسلام، هما محمد المهدي ومحمد علي.

وإذا كنا لا ندري أي صنف من النساء الفرنسيات هؤلاء اللاتي كن يحضرن احتفالات نوادي العلماء، فإننا نرجح أن يكون أكثرهن زوجات المهاجرين الجزائريين اللائي قال عنهن الفضيل الورتلاني: «... منهن من اعتنقن الإسلام، ومنهن من يعطفن عليه ويسألن ويستفسرن عن مبادئه وتعاليمه، وهكذا حسب ثقافة الزوج وعلمه أو جهله! »[3].

---

[1]– البصائر، العدد 278، 9 جويلية 1954، ص7.

[2]– محمد الزاهي الميلي، مهرجان عظيم في نوادي العلماء بباريس: البصائر، العدد 77، 30 جويلية 1937، ص7.

[3]–الأمة ، العدد 140، 9 أكتوبر 1937، ص1.

وفي وصفها للحفل الذي أقيم في نادي التهذيب بالقسم السابع عشر بباريس، يوم 14 ماي 1938م، ذكرت جريدة الدفاع Defensela أن امرأة فرنسية ألقت في هذا الحفل محاضرة أشادت فيها بالإسلام وانتقدت سلوك المسلمين المعاصرين الذي يتنافى مع حقيقة الإسلام، وأوضحت تطور نظرتها تجاه الإسلام والمسلمين، ومما ورد في محاضرتها قولها: «إنني لم اقتنع بمحاسن الإسلام إلاّ بفضل الاتصالات السعيدة التي أتيحت لي مع أساتذة هذه النوادي، الذين تتمثل فيهم بحق قيم هذا الدين المليء بالإنسانية...»[1].

وخلال فترة الخمسينات وجدنا من بين الذين كانوا يحضرون نشاطات العلماء الطبيب الفرنسي "بنوا" Benoit)[2]، الذي أعلن إسلامه بصفة رسمية في مسجد باريس يوم 20 فيفري 1953م، وتسمى باسم "علي سلمان"[3].

وهكذا يمكن القول أن العلماء قد سعوا لجذب الفرنسيين إلى نواديهم، واجتهدوا في إظهار حقائق الدين الإسلامي لهم، بلسان المقال ولسان الحال، مما أدى فعلا إلى التأثير على بعض الفرنسيين من الرجال والنساء، وتصحيح صورة الإسلام في أذهانهم، حتى أن بعضهم قد أسلم أو أوشك أن يتخذ الإسلام دينا.

ثانيا: مساهمة نشاط الجمعية في ربط الجزائر ببعدها العربي:

1- أصداء النشاط في الجزائر:

لقد كان أعضاء جمعية العلماء البارزين على إطلاع واسع بتفاصيل "نوادي التهذيب" بفرنسا بفضل الرسائل التي كانت تصلهم من أصدقائهم وتلاميذهم الذين أصبحوا أعضاء في بعثة جمعية العلماء بفرنسا. وكان جمهور القراء وأنصار الإصلاح في الجزائر يتابعون أخبار الحركة من خلال ما كانت تنشره الصحف الجزائرية من مقالات وتقارير حول نشاطات العلماء، خاصة

[1]- La Défande: N^0 191, 25 Mai 1938, P.1.

[2]- البصائر، العدد 273، 28 ماي 1945، ص3.

[3]- Le JeuneMusulman: N0 28, 12 mars 1954, P.8.

صحف جمعية العلماء، وكان أغلبها بإمضاء: الفضيل الورتلاني ومحمد الزاهي الميلي ومبارك جلواح وسعيد البيباني ووائل محمد الصغير ويوسف لمعافي في الثلاثينات، عبد الرحمان اليعلاوي البشير الإبراهيمي والربيع بوشامة وسعيد البيباني ويشير ازمران في فترة الأربعينات والخمسينات.

وكانت صحف الجمعية تشيد بجهود بعثة العلماء بفرنسا، وتنشر من وقت إلى آخر صور بعض أعضائها العاملين هناك، من ذلك أن مجلة "الشهاب" نشرت لمؤسس حركة التهذيب الشيخ الفضيل الورتلاني صورة مع أحد معاونيه الشيخ سعيد صالحي، مع تعليق ظريف أسفل الصورة جاء فيه: «ننشر هذا الرسم اللطيف لهما تقديرا وابتهاجا بما يبذلانه من جهد وجهاد في سبيل الله، لبث المعارف والتهذيب في أوساط إخواننا العملة المسلمين في باريس وضواحيها»[1].

وبما أن بعض العلماء كانوا يعدون من وقت إلى آخر من باريس إلى أرض الوطن، فإن ذلك يشكل فرصة للتعريف أكثر بسير الحركة الإصلاحية في فرنسا. فقد ألقي الشيخ سعيد صاحي إثر عودته من باريس في أفريل 1937م محاضرة حول الموضوع بنادي الترقي بالجزائر العاصمة[2]، وأخرى بمدرسة التربية والتعليم بقسنطينة[3]، وكذلك فعل الشيخ محمد الصالح بن عتيق لما عاد من فرنسا في شهر جوان 1938م.

وحين قدم الشيخ الفضيل الورتلاني إلى الجزائر في أواخر سنة 1937م، قام بجولة عبر مختلف جهات القطر الجزائري، فتحدث بإسهاب عن سير أعمال الحركة بفرنسا، والثمار المرجوة منها في المستقبل. وفي خطابه الذي ألقاه في حفل افتتاح مدرسة دار الحديث بتلمسان " أفضى الفضيل الورتلاني بما وقع بينه وبين القنصل المصري بباريس في شأن بعثة علمية إلى الأزهر الشريف، وبين التسهيلات التي وعد بها القنصل من بينها قيام إدارة الأزهر الشريف بنفقات البعثة مدة إقامتها فهناك بشروط مقررة، وقال: ما علينا إلا تمهيد السبيل لها من إيجاد رخصة السفر و

[1] الشهاب، ج2، م13، أفريل 1937، ص71.
[2] البصائر، العدد 64، 23 أفريل 1937، ص8.
[3] البصائر، العدد 66، 7 ماي 1937، ص3.

نفقته، ثم أضاف قائلا: فأما نفقته فأمر سهل، وأما رخصة السفر، فإما أن تمنحها لنا الإدارة بسهولة، وإما أن نطالبها بكل إلحاح لإرجاع أوقافا لنؤسس بها هنا كلية دينية كبرى تغنينا عن الأزهر[1]، وهو ما جعل الجمعية تفكر جدية في الأمرين،في إرسال بعثة إلى الأزهر تتألف من عشرة تلاميذ، وفي إنشاء كلية علمية إسلامية كبرى في الجزائر، غير أن قيام الحرب العالمية الثانية، ووفاة الإمام عبد الحميد ابن باديس (1940م) قد أجلا تنفيذ هذه الفكرة لبضع سنوات".

لقد كان من آثار تلك الجولة المباركة أن تفتحت آفاق جديدة أمام جمعية العلماء، وتعرف الناس أكثر على حركتها في باريس، وعظم سرورهم بالتقدم السريع الذي أحرزته في شهور قلائل، وضاعفت الجمعية اهتمامها بحركتها وراء البحر، فقررت في مؤتمرها لذلك العام (1937م) إنفاد معلمين جدد إلى فرنسا، وانتخب الشيخ سعيدصالحي عضوا في مجالسها الإداري، أما الشيخ الفضيل الورتلاني فقد عين معتمدا للجمعية في الجزائر وفرسا، وأذنت له بصورة خاصة حضور جلسات المجلس الإداري.

وخلال فترة الأربعينات والخمسينات أولت جمعية العلماء الاهتمام نفسه لحركتها في فرنسا، ومما يدل على ذلك تردد رئيس الجمعية الشيخ البشير الإبراهيمي ونائبه الشيخ العربي التبسي على فرنسا لتفقد الحركة ومؤازرة القائمين عليها، والسعي في سبيل تذليل الصعوبات التي تواجهها، وقد امتدت إقامة الشيخ الإبراهيمي بفرنسا في إحدى المرات خمسين يوما، كانت كلها عامرة بالعمل والنشاط[2].

2-أصداء النشاط في العالم العربي:

كان لقادة حركة جمعية العلماء بباريس اتصالات متينة بالطلبة العرب الذين كانوا يتابعون تعليمهم بالجامعات الفرنسية، وعلماء الإسلام الذين كانوا يفدون من الشرق إلى باريس، وكان هؤلاء يترددون على نوادي العلماء ويشاركون مشاركة أدبية في ميدان الإرشاد والتوجيه،

[1] الأمة ، العدد 140، 9 أكتوبر 1937، ص1.

[2] - البشير الإبراهيمي، رحلتنا إلى باريس، البصائر، العدد 136، 8 جانفي 1951، ص2.

وذلك بإلقاء الدروس والمحاضرات إلى المناسبات المختلفة.

ويذكر الشيخ محمد الصالح بن عتيق أن هذه المشاركة كان لها أثرها في نجاح خطة العلماء، ذلك أن" أهل شمال إفريقيا وخاصة منهم الجزائريين يتأثرون تأثرا بليغا بإخوانهم الشرقيين ويحسنون الظن بهم، ويستمعون إلى نصائحهم، ويعلقون الآمال الواسعة على نصرتهم ومساعدتهم، كما أن الامتزاج قدأفاد إخواننا الشرقيين من جهة التعرف على الجزائريين ومبلغ تمسكهم بعروبتهم وإسلامهم، لا كما كانوا يعتقدون»[1].

ولأن نوادي العلماء وحفلاتهم كانت تضم – في الغالب – :الجزائري والمصري و السوري والعراقي والتونسي والمراكشي والحجازي، وحتى الإيراني والأفغاني والهندي .. فقدكانت مراكز للتعارف بين أبناء الجزائر وإخوانهم في المشارق والمغارب، وفيها اكتشف المشارقة مبلغ استمساك الجزائريين بلغتهم وإسلامهم واعتزازهم بهما، رغم قسوة الاستعمار المفروض عليهم، وطول مدته. ولكم كان أهل الشرق يعظمون فيهم ذلك .

يذكر أحمد بن عاشور أن عالما معتبرا من علماء الشرق –لم يذكر اسمه– قال لهم مرة" لو لبثنا تحت كلا كل الاستعمار كما لبثتم، لكنا فرنسيين! »[2]. وفي حفل أقامه العلماء بباريسبمناسبة يوم بدر الكبرى 17رمضان (1954م)، ألقى محمد القطب طبلية، مفتش تحقيقات بوزارة المعارف المصرية، كلمة أبدى فيها سروره وإعجابه بخدمات جمعية العلماء الخالدة نحو الإسلام والعروبة، ومما جاء في كلمته: «إن هذه الحفلة البهيجة قد أزالت من نفسي صورة مشوهة عن الجزائر كونتها الدعايات الاستعمارية، ومن حسن حظي وحظ الجزائر معا أن أشاهد هده الحفلة ، وأمحو تلك الصورة وأضع مكانها صورة رائعة قبل أن أغادر باريس، وسأغادرها فعلا بعد يومين ولكن بقلب مطمئن ونفس مليئة بالفخر والاستعلاء لما في الجزائر الأبية من قوة المناعة والدفاع عن

[1] - ابن عتيق، أحداث ومواقف، مرجع سابق، ص84.

[2] – البصائر، العدد 65، 13 جانفي 1949، ص6.

عقيدتها، رغم مرور قرن وربع قرن من الزمن عليها وهي بين المخالب والناب!"[1] .

هكذا إذن ساهم العلماء بنشاطهم في فرنسا في وإزالة الستار الكثيف الذي حاول الاستعمار إن يضربه بين الجزائر وبين باقي الأقطار العربية والإسلامية، لعزل الشعب الجزائري ومنعه من الاتصال بإخوانه في تلك الأقطار الشقيقة، ففي مراكز العلماء ونواديهم في فرنسا عرف كثير من المشارقة أن الجزائر مازالت عربية مسلمة كما كانت قبل الاحتلال الفرنسي، وأن أهلها ليسوا فرنسيين وهي ليست قطعة من فرنسا كما كانت تشيع فرنسا الاستعمارية. والحق أن نشاط جمعية العلماء في باريس، وما صاحبه من حفلات عامة مشهودة، قد أطلق ألسنة من شاهدوها من الإخوان الشرقيين المقيمين في باريس بالثناء العاطر على الجمعية وأعمالها ورجالها الذين لا يألون جهدا في تبليغ دعوتها للقريب والبعيد ، وكان هؤلاء الشرقيين ينقلون أخبار هذه الحركة إلى الشرق بواسطة رسائلهم وحين يعودون إلى بلدانهم، فقد تحدث الشيخ محمد عبد اللطيف دراز، وكيل جامع الأزهر، عن متابعته لنشاط العلماء الجزائريين في فرنسا خلال فترة الثلاثينات، عن طريق الأخبار التي كان يزوده بها ابن عمه الشيخ محمد عبد الله دراز الذي كان من أكبر المساندين و المتعاملين مع العلماء الجزائريين في فرنسا، وقد سجل ذكرياته عن النوادي في يومياته التي لم تنشر بعد[2].

ثم إن اسم الجزائر الذي كان مهملا بين مسلمي الشرق، لا تذكره صحفهم –غالبا – إلا كما تذكر قطعة من أواسط إفريقيا و مجاهلها، أصبح بفضل حركة جمعية العلماء بباريس يتردد على الألسن مقرونا بالاهتمام، ويحتل حيزا كبيرا في صحفهم ومجلاتهم ونواديهم، وإني أذكر أن خلال تصفحي لأعداد من مجلة "الفتح" خاصة تلك التي صدرت في أواخر ثلاثينات القرن العشرين، قد لامست اهتمام هذه المجلة بأخبار الجزائر ووضع الإسلام و العربية فيها، وصمود شعبها في وجه السياسة الاستعمارية، وكان مما نشرته المجلة في هذا الصدد، مقالا يصف احتفالا

[1]– البصائر، العدد 238، 31 جويلية 1953، ص1.

[2]عويمر، التجربة الدعوية لجمعية العلماء المسلمين بفرنسا، مرجع سابق ، ص241.

أقامته جمعية التهذيب بباريس إحياء الذكرى المولد النبوي الشريف لسنة 1937م[1]، واحتجاجا أصدرته ذات الجمعية في سنة 1938م[2].

وأرى أنه من المفيد هنا أن أذكر بالنشاط الذي تم لوفد جمعية العلماء في باريس حين زارها في سنة 1952م، فقد كانت له اتصالات مع الوفود الشرقية لدى الأمم المتحدة، وأقامت الشعبة المركزية لجمعية العلماء بباريس مأدبة فخمة على شرف هذه الوفود فألقي الشيخ الإبراهيمي أثناءها خطابا أبهر الحاضرين، وقد كان من ثمار هذا النشاط أن عادت تلك الوفود إلى بلدانها وهي تعرف عن القضية الجزائرية الشيء الكثير[3]، وهناك في باريس أيضا جرى الاتفاق على قبول الدول العربية بعثات علمية من أبناء الجزائر في جامعاتها ومعاهدها العليا[4].

هذا وقد دعت مختلف الوفود العربية ووزرائها المفوضين ورجالاتها المسؤولين الشيخ البشير الإبراهيمي لزيارة بلدانها حتى يتصل في مختلف البلاد والعواصم بتشكيلاتها العلمية وهيئاتها الثقافية ومنظماتها الجامعية في موضوع البعثات[5]، ومن هنا جاءت رحلة الشيخ الإبراهيمي إلى المشرق، مباشرة بعد عودته من باريس، فكانت تلك الرحلة فتحا آخر لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين وقضية الجزائر بصفة عامة.

ثالثا: مواقف القوى السياسية الموازية والسلطة من هذا النشاط:

سنتحدث هنا عن مواقف التنظيمات الوطنية والفعاليات الإسلامية التي كانت تنشط في أوساط الهجرة الجزائرية من نشاط جمعية العلماء في فرنسا، وبالخصوص مواقف كل من نجم شمال إفريقيا/حزب الشعب الجزائري، حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، أنصارالطرق الدينية،

---

[1] الفتح، العدد 553، العام الثاني عشر، ربيع الآخر، 1356هـ./1937م ، ص43.

[2] الفتح ، العدد 603، العام الثالث عشر، 26 ربيع الأول 1357هـ، /1938م، ص21.

[3] – محمد الهادي الحسني، الإمام محمد البشير الإبراهيمي رئيسا لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الموافقات، الجزائر، العدد الرابع، جوان 1995، ص599.

[4] - محمد خير الدين، مذكرات، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص417.

[5] – البصائر، العدد 185، 24 مارس 1952، ص2.

مسجد باريس، وفي الأخير نتحدث عن موقف الفرنسيين.

1- مواقف بين نجم شمال إفريقيا والجمعية:

في سنة 1936م كان "النجم شمال إفريقيا" قد قطع أشواطا هامة في العمل الوطني وتأطير العمال الجزائريين بفرنسا، وهذا رغم ما تعرض له هذا التنظيم وقادته من قمع واضطهاد السلطات الفرنسية منذ تأسيسه في سنة 1926م. والجدير بالملاحة هو أن نشاط هذا التنظيم كان حتى ذلك الوقت يكاد يقتصر على الساحة الفرنسية رغم مرور عشر سنوات على ظهوره. إذ لم يشرع في نقل نشاطه إلى أرض الوطن إلا في سنة 1936م، وهي السنة ذاتها التي قررت فيها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مد نشاطها إلى فرنسا ليشمل أبناء الجزائر النازحين إلى تلك البلاد الأوربية. فكيف قابل "نجم شمال إفريقيا" هذه الخطوة الجديدة من جمعية العلماء؟ وما هو موقف مناضلي هذا الحزب من تأسيس نوادي التهذيب ونشاطها في فرنسا؟

حين باشر العلماء نشاطهم في باريس، كان موقف "نجم شمال إفريقيا" إيجابيا، وهذا رغم الخلاف الذي طبع العلاقة بين قادته وقادة جمعية العلماء خلال سنة 1936م بسب تباين موقف كل منهما تجاه "المؤتمر الإسلامي الجزائري" ومطالبه المقدمة للحكومة الفرنسية[1]. فقد رحب "النجم" بالشيخ الفضيل الورتلاني، واستضافه زعماؤه، خاصة راجف بلقاسم وسي جيلاني، لإلقاء الدروس والمحاضرات في خلايا الحزب وفي المقاهي المعروفة بميولها الوطنية، وحطب في كثير من تجمعاتهم الجماهيرية، بل إن بعض قادة الحزب قد ساهموا في تأسيس النوادي والإشراف عليها[2]. فحسب تقرير الشرطة المؤرخ في 2 فيفري 1937م، فإن مكتب أحد النوادي الباريسية كان يشغل فيه سي جيلاني منصب الرئيس، وعكنون سعيد منصب النائب الأول للرئيس، أما بلغول

[1]- محمد خير الدين ، مذكراته، المؤسسة الوطنية للكتاب، ج1، ص 301.

[2]- د. مولود عويمر، التجربة الدعوية لجمعية العلماء المسلمين بفرنسا، مجلة تعارف، العدد الأول، 2003، ص241.

فنائب ثاني للرئيس[1]، والثلاثة مناضلين في حزب "النجم".

وبناء على رأي "بنيامين سطورا"، فان رئيس "النجم" مصالي الحاج كان مجبرا، لغاية نوفمبر 1936م، على تفادي الدخول في نزاع مع العلماء، والأكثر من ذلك كان يعتقد أنه يستحسن عدم معارضة حركة داخل فرنسا، بل تقديم المساندة لها، الشيء الذي دفع بمناضلي الحزب سنة1936م قبول الانضمام إلى "نادي التهذيب" الذي تأسس في باريس.

إن التاريخ الذي أورده "سطورا" هنا، يوحي بأن الفترة المقصودة، والتي زعم أن مصالي كان خلالها مجبرا على (مساندة حركة العلماء) في الفترة التي غاب فيها مصالي عن فرنسا، أي حين كان يقوم بجولته الدعائية إلى الجزائر. فهل حصل هذا الموقف فعلا من مصالي الحاج؟.

صحيح أن حركة العلماء بفرنسا قد حظيت خلال هذه المدة بمساندة "النجم"، وصحيح أيضا أن مناضلين من هذا الحزب قد انضموا إلى نوادي العلماء وساهموا في تأسيس بعضها، لكن لا ندري من أين استخلص "سطورا" الموقف (المساند للعلماء) الذي نسبه هنا لمصالي؟ إن هذا الأخير نفسه يذكر أنه اتصل بأخبار من باريس مفادها أن الفضيل الورتلاني كان يقوم، باسم العلماء، بعمل تجريبي ضد "نجم شمال إفريقيا"[2]، فهل يعقل أن يساند مصالي عملا يعتقد أنه "تجريبي" وموجه ضد حزبه؟ ثم ماذا عن الرسالة التي بعث بها في أواخر شهر أوت إلى أصدقائه بباريس يحثهم فيها على القيام بدعاية مضادة للعلماء لوقف تأثيرهم[3]، فهل تدخل هي الأخرى في خانة (مساندة العلماء)؟

الواقع أن مصالي قد راعته الأخبار التي أتته من باريس حول نشاط العلماء هناك، وإن

---

[1]- بنيامين سطورا ، مصالي الحاج 1898-1974، رائد الوطنية الجزائرية، ترجمة صادق عماري، مصطفى ماضي، دار القصبة، الجزائر، 2007، ص 174.

[2]- مصالي الحاج، مذكرات 1898-1938، ترجمة محمد المعراجي، منشورات المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، ط2007، ص211.

[3]- AOUMEUR: L'ation de l'association des oulémasAlgériensen France, op.cit p.38. (selon le rapport de la prefecture de police de paris (ppp) du 27 aout 1936).

بعض أصدقائه من قادة الحزب كانوا يتمنون رجوعه قربهم ليشكلوا جبهة ضد هذا النشاط، لكن مع ذلك استمر مناضلو "النجم" يدعون العلماء للمشاركة في نشاطاتهم. ففي 11سبتمبر 1936م، ألقى الفضيل الورتلاني محاضرة دينية في مقهى راجف بلقاسم الواقعة في "بولونبيلانكور" (Boulogne- Billancourt)حضرها حوالي خمسين من الشمال إفريقيين، شرح لهم فيها مبادئ جمعية العلماء، ودعاهم إلى الالتزام بتعاليم القرآن، ونبههم إلى ضرورة الحذر من عمل المرابطين. وفي الاحتفال الذي نظمه مناضلوا "نجم" في قاعة "غرانجوبال" (la Grand aux Belles)، تحت الرئاسة الشرفية للشيخ الطيبالعقبي الذي كان رهن الاعتقال في الجزائر، ألقي الفضيل الورتلاني حطابا دافع فيه من صديقه العلي العقي، واحتج ضد اعتقاله.

في أواخر سنة 1930م، ومطلع السنة الموالية عبر مسؤولو خلايا "النجم" في بعض الدوائر الباريسية عن قلقهم إزاء نجاح العلماء المطرد في استقطاب أعداد هامة من العمال المغاربة، و ازدادت مخاوف هؤلاء، خاصة بعد حل "النجم" ، لذلك فإن "حزب الشعبالجزائري" الذي أسسه مصالي الحاج في مارس 1933م، وجد نفسه مضطرا للاهتمام بالمسالة الدينية حتى يواجه منافسة العلماء، فقرر الحرب أن ينشئ «مجمعا روحيا يعمل على ترسيخ المعتقدات الدينية للمغاربيين المقيمين في فرنسا». لكن هذا القرار في مجرد أمنية لم تتحقق، وعدم إدراك مصالي الأهمية عنصر الدين في تجنيد العمال والشعب الجزائري بصفة عامة لخدمة الوطنية ومواجهة الاستعمار[1].

إن هذا التنافس الذي طبع العلاقة بين مسؤولي النوادي الإصلاحية وقادة حزب "نجم شمال إفريقيا"/ "حزب الشعب الجزائري" يتحول أحيانا إلى مواجهة بين أنصارهم، فإثر عودة مصالي الحاج إلى فرنسا، بعد الجولة التي قام بها إلى الجزائر، نظم له الحزب تجمعا جماهيريا بوم 28 نوفمبر 1936م لعرض تقرير عن سفره إلى الجزائر، وكان الفضيل الورتلاني حاضرا في التجمع، وحاول أن يدخل ليرد على الانتقادات التي وجهها مصالي لجمعية العلماء، لكن لم يسمح له

[1] محمد قنانش، ذكرياتي مع مشاهير الكفاح، دار القصبة، الجزائر، ط2007، ص59.

بذلك، فوقع تدافع بين أنصار الزعيمين[1]. وهكذا استمر الصراع والتنافس بين الطرفين إلى أن زار الأمير شكيب أرسلان باريسفي سنة 1937م، فعمل على تقريب الشقة بينهما، ففي احتفال أقامته جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين باريس يوم 21 فيفري، بمناسبة عيد الأضحى، حضره إلى جانب الأمير أرسلان كل من مصالي الحاج والفضيل الورتلاني وسعيد صالحي والزعيم التونسي الحبيب بورقيبة، أعلن هذا الأخير في خطابه أن أرسلان قد وفق بين العلماء والنجم المنحل، لأن رفعة الجزائر – على حد تعبيره – تتوقف على الطرفين أحدهما لحماية الماضي والدين واللغة العربية والتاريخ، والآخر لتنظيم الكفاح[2]. وكان من نتائج مساعي الأمير أرسلان أن عرفت العلاقات بين العلماء و"النجم" ثم "حزب الشعب" نوعا من التقارب والتضامن، خاصة بعد فشل المؤتمر الإسلامي. ومن مظاهر ذلك موجة السخط التي أثارها قرار الاعتقال الذي أصدرته السلطات الفرنسية في حق مصالي وبعض رفقائه في شهر أوت 1937م في أوساط العلماء[3]، والذي شمل حتى "شباب المؤتمر الإسلامي الجزائري" الذين أصدروا إثر اجتماع عقدوه بالجزائر العاصمة يوم 6 فيفري 1938م توصية تدين الاضطهاد الذي لحق سجناء حزب الشعب وتطالب بإعطائهم صفة "السجين السياسي" في انتظار إطلاق سراحهم، وهذا رغم أن تنظيم "شباب المؤتمر" كان يرأسه الأمين العمودي المعروف بتهجماته على مصالي وحزبه التي استمر يشنها عبر جريدته "الدفاع" حتى بعد المصالحة بين العلماء و حزب مصالي.

و لم يتوقف موقف العلماء عند هذا الحد، بل إن أعضاء جمعية العلماء قد قدموا في مناسبات عديدة مساعدات مادية لمناضلي حزب الشعب، ففي وهران مثلا قام أعضاء نادي "جمعية الفلاح" التابع للعلماء جمع التبرعات لصالح مصالي وزملائه السجناء، وتكون هذه التبرعات

[1]- Aouimer: op.cit, p.38. (rapport de ppp, 28 Novembre 1936).

[2]– سعد الله، الأمير شكيب أرسلان والقضية الجزائرية، دراسة منشورة في كتابه: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائـــر، ج4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1996، ص130.

[3]– سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1930–1945، ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط3، 1986، ص142.

قد جلبت مبلغ 2000 فرنك[1].

في الأخير نقول: رغم ما ساد من تنافس بين نوادي العلماء بفرنسا وحزب نجم شمال إفريقيا ثم حزب الشعب الجزائري من بعده، فإن هذين التنظيمين قد قدما لجاليتنا في المهجر خدمات جليلة، وتحملا معا عبء تنظيم صفوف هذه الجالية والنهوض بها ثقافيا ودينيا وسياسيا، ما جعلها تندفع للعمل الجاد والمثمر الذي عاد بالفائدة عليها وعلى الوطن.

2- موقف حركة الانتصار للحريات الديمقراطية:

بعد ما رأينا موقف التيار الوطني الذي كان يقوده أحمد مصالي الحاج من نشاط جمعية العلماء في فرنسا في الفترة التي سبقت الحرب العالمية الثانية، نود الآن أن نقول كلمة - ولو مختصرة لقلة المادة المتوفرة - عن العلاقة التي كانت قائمة، خلال مرحلة ما بعد الحرب، بين شعبة جمعية العلماء بباريس، وحزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية.

إن ارتفاع مستوى الوعي لدى الجزائريين في هذه المرحلة، قد جعل الكثير من المناضلين السياسيين يدركون أن ما تقوم به شعبة جمعية العلماء من عمل ثقافي وتربوي إنما هو الإطار الأمثل لإعداد الشعب ليوم التحرير الحقيقي، وأن الجانب السياسي وحده لا يمكن أن يحرر الشعب، إذا ظل هذا الشعب على حالة الجهل المفروضة عليه، لذلك لا تستغرب إذا وجدنا في هذه المدة عددا من مناضلي حزب الشعب وحركة الانتصار للحريات الديمقراطية ينخرطون في جمعية العلماء، ويساهمون في نشاطات شعبتها المركزية بباريس، بعد أن أدركوا أنه ليس هناك أي خلاف بينهم وبين اتجاه وأهداف جمعية العلماء، بل على العكس، فالاثنان يكملان بعضهما البعض[2]. ومن هؤلاء يمكن أن نذكر -على سبيل المثال- عميروش آيت حمودة وصديقه في الحجرة سعيد مداح، وعبد الحفيظ أمقران، وسي الطاهر سي بشير وغيرهم.

---

[1] د. أحمد صاري، شكيب أرسلان والحركة الوطنية الجزائرية، دراسة منشورة في كتابه شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، ط2004 ،ص91.

[2] - قنان ، ديوان الشهيد الربيع بوشامة، مرجع سابق، ص17.

يذكر أنه في سنة 1953م، حدث تجمع في حي "بال فيل"بالدائرة التاسعة عشر من العاصمة باريس، نظمته جمعية العلماء وحزب الإتحاد الديمقراطي للبيبان الجزائري، نتيجة التقارب الذي كان يطبع العلاقات التي تجمع شيوخ الجمعية وأعضاءها، بزعيم هذا الحزب فرحات عباس ومناضليه آنذاك، فقام حزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية بإرسال مناضلين من صفوفه لحضور التجمع من أجل إفشاله. بالتشويش والفوضى في حالة ما إذا تعرض هذا التجمع لحزبهم بالتشويه أو القذف، وعند وصولهم وجدوا عميروش هو القائم والمسؤول على الأمن وحسن تنظيم التجمع، وكان يعرفهم، لأن من بينهم السيد "أحسن أومالو"، وبعض رفاق عميروش في النضال ضمن حزبه الأول، فسمح لهم بالجلوس دون إحداث أي ضرر، خاصة وأن التجمع لم يتعرض لحزبهم بأي سوء[1].

استغل عميروش هذه المناسبة ليتقرب من هؤلاء المناضلين والأصدقاء القدامى، حيث عرض عليه أن يبقى كل واحد منهم يناضل في حزبه، وأن يتمسك بمبادئه و أسراره ونشاطه الحزبي، لكن لا ضرر في التعاون، والالتقاء من حين لآخر قصد التدريب على بعض التقنيات من أجل الاستعداد للعمل العسكري مستقبلا، مثل تعليم الشفرة، وصنع القنابل التقليدية التي سبق وأن تعلم تقنياتها في المنظمة الخاصة، وكانت هذه الدروس والتدريبات تعطى في أماكن سرية في باريسوضواحيها، وفي الفترة الممتدة من نهاية سنة 1953م إلى بداية سنة 1954م، أي أيام اشتداد الأزمة داخل حزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية.

وخلاصة القول: رغم التوتر الذي ساد بين الطرفين كما قلنا، فإن ذلك لم يمنع من التقارب والتعاون المثمر بين أنصار الحركتين في سبيل خدمة الجالية الجزائرية المهاجرة، والقضية الوطنية، وقد استمر الأمر على هذا المنوال إلى أن جاءت الثورة التحريرية الكبرى في 1954م، فوحدت جهود كل المخلصين على اختلاف انتماءاتهم السياسية، وجمعت الجميع في صعيد واحد، عدوهم الاستعمار وأذناب الاستعمار، ووجهتهم حرية الوطن وحياة العزة والكرامة فوق

[1]- شوقي عبد الكريم، دور العقيد عميروش، المرجع السابق، ص 57-58 .

أرضه الطاهرة.

3-موقف أنصار الطرق الدينية:

حين بدأت جمعية العلماء نشاطها في فرنسا سنة 1936م كان الصراع في الجزائر ما يزال على أشده بين العلماء وبين رجال الطرق الدينية، وقد كان لهذه الطرق امتدادا وأنصار حتى في فرنسا ذاتها، وهم أولئك العمال المهاجرين الذين تلقوا تعليما تقليديا في زوايا هذه الطرق.

أما عن موقف هؤلاء من حركة العلماء هناك فيقول الزاهي: "وبعد وصول الحركة الإصلاحية انقسموا على أنفسهم وتفرقوا أحزابا وشيعا، فمنهم من كان يحن إلى الزوايا، ومنهم من كان يبدي انتقادات، وتجاذبوا أطراف الحديث الجدلي بعنف وحماس في جانب العلم والعلماء والإصلاح والمصلحين والطرق والطرقيين..."[1].

والظاهر أن حركة العلماء قد لاقت في فرنسا أيضا العديد من المضايقات والاتهامات من بعض الطرقيين.

والذين لم ترق لهم النهضة الثقافية والأدبية التي نشرتها بعثة العلماء في أوساط العمال الجزائريين، فحاولوا النيل من هذه الحركة ووقف تأثيرها، وكانت الوسيلة إلى ذلك مهاجمة مسيريها والمشرفين على نشاطاتها[2]، فكانوا يعمدون إلى التشكيك في مصداقية البعثة عن طريق اتهام أعضائها بالعجز وعدم الأهلية للقيام بمهمتها في فرنسا[3].

هكذا إذن كان على دعاة جمعية العلماء أن يتصدوا أثناء نشاطهم بفرنسا، لهذا الخليط من الأهواء في المعتقدات والأفكار الميتة التي هي من الأمراض التي أصابت المسلمين فيعصور الانحطاط، والتي حملها بعض أبناء الإسلام من موطنهم الأصلي الذي نزحوا منه، وهذا فضلا عن تصديهم

---

[1]- محمد الزاهي الميلي، أربعون يوما في الطريق من باريس إلى قسنطينة، الحلقة الرابعة، البصائر، العدد 127، 19 أوت 1938، ص6.

[2]-La Défense: N^0 144,9 Avril 1937, p3.

[3]- ابن عتيق، أحداث ومواقف، مرجع سابق، ص85-87.

لتيار الإلحاد والانحلال الخلقي في أوساط عمالنا المغتربين، والذي هو نتاجالتأثيرات السلبية للمدنية الحديثة.

الصحف مثل النجاح و البلاغ، وهي أن هذه الصحف لم تكن تهتم بنشر أخبار حركة العلماء بفرنسا، ومما يثير الغرابة أن جريدة مثل "النجاح" التي لم تنشر شيئا عن ذهاب العلماء إلى فرنسا وإيابهم، ولا عن نواديهم وحفلاتهم، ولا عن بياناتهم واحتجاجاتهم الكثيرة ضد اضطهاد إدارة الاحتلال للإسلام ولغة القرآن في الجزائر، هذه الجريدة التي تهتم بشيء من ذلك، تنشر في أحد أعدادها فقرة تحت عنوان: (تلاشي دعاية العلماء بباريس وسفر الفضيل الورتلاني لمصر)[1]، ومما جاء فيها:"... إن جمعية العلماء لأغراض متعددة حاولت إحداث دعاية لها بباريس فأرسلت أحد أقطاب الشيوعية المسلمين الفضيل الورتلاني فأسس تحت اسم جمعية التهذيب نوادي، والحقيقة جعل من محلات سكنى الخدمة مجتمعات واستدعى رفقاء يعاونونه في هذه المهمة وسار برهة من الزمن جمع فيها ما شاء من دراهم الغفل من العملة ولكن ما كادت تمر السنة الأولى حتى رجع أعوانه الى وطنهم بعد أن سئموا وتحققوا من خيبة المسعى.

في الواقع لقد ترددت في كتابة هذا الكلام لكونه كله كذبا وافتراء، لكن أردت تسجيله هنا ليكون شاهدا على ما كان يكنه بعض الرجعيين من عداء شديد لجمعية العلماء ولرجالها المخلصين الذين تحملوا من المشاق ما تحملوا في سبيل خدمة الدين وتعليم اخوانهم في الجزائر وفي المهجر[2].

4- موقف مسجد باريس:

أشير إلى أن الطرفين رغم أنهما كانا ينشطان في حقل واحد، وهو حقل الدعوة الإسلامية وسط الجاليات الإسلامية المتواجدة في فرنسا، إلا أن هناك اختلاف هام قائم بينهما، فبينما كانت جمعية العلماء حركة إسلامية حرة، تنهج الإصلاح والتجديد الهادف إلى إحياء جذوة

[1]- النجاح ، العدد 2212، 12 نوفمبر 1938، ص2.

[2]- البصائر، العدد 178، 11 أوت 1939، ص7.

الدين الإسلامي في نفوس المسلمين حتى يعود هذا الدين

كما كان في عصوره الزاهرة، قوة دافعة للنهضة والبذل والتضحية، كان مسجد باريس مؤسسة رسمية تمثل في اتجاهها النهج الديني المحافظ الذي هو أقرب إلى التيار الطرفي التقليدي الذي كانت تصارعة جمعية العلماء في الجزائر، بينما كان الاستعمار يحتضنه ويدعمه في مواجهته لتيار الإصلاح والتجديد.

وفي الواقع أن هذا الاختلاف هو السبب الجوهري الذي حال دون وقوع تعاون بين الطرفين، بل إن العلاقة بينهما لم تكن في الغالب على ما يرام، ذلك أن العلماء ، يكونوا راضين على أداء مسجد باريس في مجال الدعوة والإرشاد، إذ كانوا يودون أن تكون هذه المؤسسة مركز إشعاع ديني وثقافي في تلك الديار الأوربية، وهذه الرغبة لم تكن أمنية جمعية العلماء الجزائريين فحسب، بل كانت تقاسمها فيها جمعيات إسلامية أخرى، فقد ذكر الأستاذ عمر بهاء الأميري أن من أعمال فرع باريس "لرابطة شباب محمد صلى الله عليه وسلم" : السعي لإصلاح حالة مسجد باريس، وترتيب الشعائر فيه، وتغيير إمامه الذي لا يصلح للإمامة، وقال: وقد تمكنوا فعلا من تغيير الإمام[1].

وفي خطاب ألقاه في إحدى احتفالات شعبة العلماء بباريس، يوم 8 جويلية 1954م، أوضح الأستاذ الباكستاني محمود عبد الغفور رئيس "الجمعية الإسلامية لمسلمي فرنسا" أن من أهم الأهداف التي تناضل من أجلها جمعيته رفقة علماء الجزائر: إصلاح وضع مسجد باريس ومقامة كل من يريد أن يجعل من هذه المؤسسة الدينية الجميلة،"مجرد متحف، يدار بروح مرابطة لاتسمح بانتشار الهداية الاسلامية بين الناس".

وكان علماء الجزائر وهم في باريس يودون استغلال كل المنابر الممكنة لإيصال دعوتهم الى الجمهور، ولا شك أن مسجد باريس كان من تلك المنابر التي رغبوا في استغلالها، ولقد

[1]- الفتح، العدد 577، 22 رمضان 1356هـ، /1938م، ص17.

حاولوا ذلك فعلا خلال فترة الثلاثينات، ففي أثناء حفل المولد النبوي الذي أقامته جمعية التهذيب بباريس يوم 23 ماي 1936م، والذي حضره أكثر من ألف شخص، بوشر بأخذ تواقيع الحاضرين على عريضة يطلب فيها من ادارة المسجد باريس السماح بإلقاء المحاضرات الدينية فيه من قبل أساتذة علماء في كل أسبوع مرة على العمال المسلمين الذين يتجاوز عددهم في باريس وحدها ما يقارب مائة ألف نسمة.

لكن يبدو أن هذا الطلب قوبل بالرفض، بل ربما كان هو السبب في تعكير أجواء العلاقة بين ادارة المسجد والعلماء، وهذا ما نستشفه من كلام الشيخ محمد الزاهي الميلي حين شرح ظروف منع المسلمين من أداء صلاة العيد في الطبيعة (أواخر سنة 1937م)، اذ لمح الى احتمال أن تكون ادارة المسجد هي التي أغرت السلطة الوصية باتخاذ قرار منع الجائر.

وهكذا كانت العلاقة بين العلماء وإدارة مسجد باريس تسير في اتجاه لا يسمح بمد جسور التعاون والتنسيق بينهما، وبقي منبر المسجد غير متاح لأعضاء جمعية العلماء العاملين في فرنسا[1]، ومع ذلك كان العلماء والعمال الجزائريون يرتادون المسجد ويحضرون إليه بكثافة في أيام الجمع. وما لفت انتباهي في العلاقة بين الطرفين هو غياب كل منهما في الاحتفالات والتظاهرات التي يقيمها الآخر، ولا شك أن هذا يعكس حالة التنافر، أو بتعبير أخف، انعدام الانسجام القائم بين الطرفين.

5- موقف السلطات الفرنسية:

5-1في المرحلة الأولى:

لقد استفادت نوادي التهذيب بفرنسا من جو الحرية والديمقراطية الذي كان سائدا في هذا البلد، «... فكان الخطباء هناك يتمتعون بحرية الكلام ومواجهة الاستعمار وبث روح

[1] عبد الحفيظ أمقران، مذكرات، المرجع السابق، ص 31.

الاستقلال لا يتمتعون بمثلها في الجزائر ..»[1] التي كانت خاضعة للرقابة الاستعمارية الصارمة، والقوانين الاستثنائية القاسية. لكن نجاح النوادي في استقطاب نسبة كبيرة من المهاجرين الجزائريين، سرعان ما أقلق الدوائر الاستعمارية التي تترصد ما يقوم به أبناء المستعمرات – في عقر دارها – من نشاط يعاكس سياستها الاستعمارية، خاصة بعد أن تحدثت بعض الصحف الفرنسية عن نشاط النوادي في باريس وتأثيرها المتزايد على المهاجرين الجزائريين، فبدأت السلطات الاستعمارية تضع العراقيل أمام نشاط العلماء للحد من تأثيراته .

ففي ديسمبر 1937م أصدر محافظ شرطة باريس قرارا يمنع العلماء من أن يقيموا صلاة العيد في "غابة فانسان" الشهيرة، فقام أنصار الحركة الإصلاحية بمظاهرة كبيرة تضم ألفي مشارك احتجاجا على هذا المنع الذي اعتبروه «مساسا بالحرية الدينية المعترف بها لجميع الأديان»[2]. وفي سنة 1937م أيضا فتشت الشرطة نادي كليشي" بباريس، « وهو مكان له حرمة المساجد ومكانة المدارس، لأنه يقوم بالتعليم، وتقام فيه الصلوات » [3].

وكان الشيخ الفضيل الورتلاني، خلال جولته إلى الجزائر، قد تعرض للكثير من المضايقات، فقد ذكرت البصائر آنذاك، أن الصحف الاستعمارية قد نشرت عنه أخبارا وهما لتقذف به تحت سلطة القانون وتضعه في دائرة غضب الحكومة[4]. وحين كان يقدم درسا في التفسير أمام جمع غفير من المسلمين بمسجد قرية قنزات «دخل عليهم أعوان الشرطة، واعتدوا عليهم منتهكين حرمة الأماكن المقدسة»[5]. وأكثر من ذلك، حاولت السلطات الاستعمارية أن تمنع الشيخ الفضيل من العودة إلى باريس لمواصلة نشاطه الإصلاحي هناك، حتى أنه لم يستطع مغادرة الجزائر إلا بمساعدة بعض مناضلي الحركة الإصلاحية الذين دبروا عملية ترحيله سرا، وذلك

[1]– محمد المبارك، المرجع السابق، ص147.

[2]– البصائر، العدد 93، 31 ديسمبر 1937، ص 2.

[3]البصائر، العدد 98، 4 فيفري 1938، ص 3.

[4] البصائر، العدد 86، 13 نوفمبر 1937، ص 1.

[5]البصائر: العدد 85، 5 نوفمبر 1937، ص 2.

بإدراجه ضمن عمال الموانئ العاملين في الجزائر ومرسيليا [1]!!

ودأبت الصحافة الاستعمارية في أواخر الثلاثينات على اتهام العلماء بتبني أفكار الجامعة الإسلامية وتحريض الجزائريين على الانفصال عن فرنسا، والتعاطف مع زعماء النازية والفاشية، وخاصة بعد زيارة الأمير شكيب أرسلان للنوادي في سنة 1937م[2]. وكانت الصحف الفرنسية تتهم شكيب أرسلان بأنه على اتصال بألمانيا وايطاليا لأنه كان ضد الاستعمار في المغرب العربي ويتعاون مع الحركات الوطنية فيه، لذلك حرص العلماء في كل مناسبة على الرد على مثل هذه الاتهامات. ففي الحفل الذي أقامته "الجمعية الفرنسية الإسلامية" في قاعة "مىتىاليتي" يوم 18 ديسمبر 1937م، تحت رئاسة موريس فيوليت، ألقى محمد صغير وائل – كاتب نوادي التهذيب – خطابا مما جاء فيه: « مرة أخرى، نوضح بأنه بعيدا عن سماع روما أو برلين اللتان نشان جامعات إسلامية بهدف تهيئة إطارات تبعث بها في المستعمرات الإثارة الفوضى والثورة، فنحن في نوادي التهذيب بصدد تربية وتهيئة رجال قادرون على بناء السلم والدفاع عن الحرية »[3]

وفي اجتماع 2 أفريل 1938م الذي عقدته "الجمعية الفرنسية الإسلامية" في مقرها الاجتماعي، وفي حضور موريس فيوليت، وأساتذة و كتاب وصحافيين فرنسيين، تكلم الشيخ الفضيل الورتلاني بإسهاب عن وضع الجزائر ومعاناة شعبها، وما تتعرض له الثقافة العربية من اضطهاد وضغط الإدارة الاستعمارية منذ أكثر من قرن من الزمن، ثم قال موجها كلامه للفرنسيين: «في وقت تسعى فيه الفاشية، عن طريق الراديو والصحافة الأجنبية الناطقة بالعربية و بعض العملاء المندفعين حماس، من أجل ربط العالم الإسلامي بأهدافها الهمجية، أن الأوان كي يضم كل الفرنسيين النزهاء، والذين يهمهم أمن و شرف بلادهم، وته إلى صوتنا لكي نطالب من حكومة الجمهورية أن تضع حدا لمختلف التجاوزات والمضايقات المسلطة على الشعب الجزائري

[1] الشيخ عبد الرحمان شيبان، المقدمة التي كتبها لطبعة "الشهاب" التي أنجزها دار الغرب الإسلامي، بيروت 2001، المجلد السادس عشر الخاص بالمقدمات والفهارس، ص 50.

[2]– عومر، التجربة الدعوية لجمعية العلماء، مرجع سابق، ص 244.

[3]- La Défense: N°176,2 Février 1938, P.2.

ولا سيما معلمي جمعية العلماء »[1]

وردا على ما كانت شيعه الدعاية الإيطالية آنذاك من أن موسوليني سيفتح مدرسة للثقافة الإسلامية في روما وجامعة في "حراري، قال الورتلاني: "إن موسوليني الذي سعى – قبل بضع سنوات – للقضاء على الثقافة العربية في طرابلس، و لم يتردد من أجل ذلك في إلقاء علماء طرابلس من فوق طائراته، هو موسوليني ذاته الذي يعلن نفسه اليوم بأنه (حامي الإسلام)".

وبطبيعة الحال، فإن كلام الورتلاني هذا الذي فيه إدانة السياسة موسوليني، يرمي ضمنيا إلى تبرئة ساحة العلماء من تهمة التعاون أو التجاوب مع الفاشية والنازية، هذه التهمة التي كان الهدف من ورائها إغلاق نوادي التهذيب وإيقاف نشاط العلماء الجزائريين بفرنسا، وفي ذات الوقت فيه دعوة للسلطات الفرنسية لتعيد النظر في سياستها الاستعمارية تجاه الجزائر وثقافتها وشعبها وجمعيتها (جمعية العلماء). لكن يبدو أن تصاعد الحرب النفسية التي كان يشنها الألمان والإيطاليون ضد فرنسا وحلفاءها في أواخر الثلاثينات من القرن الماضي، كانت تزيد من مخاوف الفرنسيين، فقد كانت دعايتهم تقدم مثلا الحركات الدينية الإسلامية حلفاء لهم، ففي أوت من سنة 1938م، نجد " رادیو باري" (Radio - Bari)

الذي أطلقه النظام الإيطالي الفاشي والموجه للمستعمرات الفرنسية والإنجليزية، يقدم العلماء الجزائريين كحركة وطنية تريد أن تجعل من الجزائر بلدا حرا و مستقلا »[2].

ومن المعلوم أن المؤامرات التي كانت تحاك من طرف السلطة الاستعمارية الفرنسية ضد الشيخ الفضيل الورتلاني، كانت السبب الأول الذي دفع هذا الأخير إلى مغادرة أرض فرنسا سرا في أواخر سنة 1938م[3]. وقد استمر نشاط

النوادي مدة رغم غياب مؤسسها الأول ومنشطها الأساسي، لتتوقف تماما في بداية الحرب العالمية الثانية (1940م)، بسبب الظروف الاستثنائية والأحداث الجسيمة التي عاشتها فرنسا

[1]La Defense: N°186,3 Avril 1938,P.2
[2]AOUIMEUR: op.cit., p42
[3] – محمد. أمقران بن مالك الورتلاني، محاضرة حول حياة وجهاد الشيخ الفضيل الورتلاني، المرجع السابق، ص 45.

والجزائر خلال تلك الحرب.

5-2في المرحلة الثانية:

لم يسلم نشاط جمعية العلماء بفرنسا خلال المرحلة الثانية من مضايقات السلطات الفرنسية، خاصة في فترة الخمسينات، فقد تحدثت جريدة "البصائر" عما كانت تفرضه السلطات الفرنسية وبوليسها السري من رقابة وتتبع لحركات وسكنات الشعبة المركزية وفروعها المختلفة ورجالها المخلصين، وعلى رأسهم رئيس الحركة الشيخ الربيع بوشامة الذي قالت أنه تعرض للبحث والاستنطاق من طرف البوليس الفرنسي، كما أجرى هذا الأخير تفتيشا غير قانوني في بيوت بعض الأعضاء[1]، كل ذلك – تضيف البصائر – للاستفزاز وإلقاء الرعب في النفوس..!

إن هذه الرقابة المفروضة على مؤسسات جمعية العلماء في فرنسا وعلى أعضائها العاملين هناك، اشتدت أكثر، وصاحبتها أعمال قمع، خاصة بعد اندلاع الثورة في الجزائر في أول نوفمبر 1954م. فقد أشارت "البصائر" في عددها 305 إلى المعاملة التعسفية التي عوملت بها شعب جمعية العلماء في ليون ومرسيليا وغيرها من المدن الفرنسية، وقالت: إنه لما نشبت الثورة بالجزائر تحرك البوليس في مرسيليا للبطش بالجزائريين، وكان أول ما هاجمه مركز شعبة جمعية العلماء، وأول من ألقي عليه القبض كاتب شعبتي جمعية العلماء في مرسيليا و السيد جرمون الحسن، فقد فتشوا منزله ومكتبه فلم يجدوا إلا رسميات الجمعية: القانون الأساسي وجريدة البصائر، وبعد كل هذا أودعوا كاتب الشعبة السجن وعذبوه، وهو من يوم 23 ديسمبر 1954م في السجن يعاني الأمرين[2].

وتذكر "البصائر" أيضا أنه حين ذهب الشيخ سعيد البيباني، مندوب جمعية العلماء إلى قرية "نوقينت" القريبة من باريس لزيارة أنصار الإصلاح هناك ووعظهم وإرشادهم، تجندت شرطة باريس والشرطة المحلية في عدد يقارب الثلاثمائة بعرباتهم، وأحدقوا بالمحل، وفتشوه وألقوا القبض

[1]– البصائر ، العدد 227، 24 أفريل 1953، ص 6

[2] – البصائر ، العدد 305، 11 فيفري 1955، ص2

على خمسة وخمسين رجلا من رجال شعبة جمعية العلماء وغيرهم، وسيقواجميعا إلى مركز الشرطة في باريس، وبعد بحثهم أطلق سراحهم، وبقي الأستاذ سعيد البياني مندوب الجمعية ومعه سبعة من رجال الشعبة في البحث أربعة وعشرين ساعة، ثم ذهبت الشرطة بالأستاذ البيباني والقيد في يده إلى مركز الشعبة فأخذوا جميع ما فيه من الأوراق والدفاتر والصحف والرسائل وغير ذلك، وبعد بحث دقيق أجري مع الأستاذ البيباني أطلق سراحه وسراح من معه من الرفاق[1].

و لم يتوقف الأمر عند هذا الحد مع مندوب جمعية العلماء في باريس، الشيخ سعيد البيباني، فقد ضويق وتعرض للاعتقال عدة مرات، ولما شعر باستحالة الاستمرار في أداء مهامه في فرنسا قرر مغادرتها في سنة 1956م، ويذكرنا هذا بما كان تعرض له الشيخ الفضيل الورتلاني في أواخر الثلاثينات حين أصبحت حياته مهددة بالخطر خاصة مع اقتراب اندلاع الحرب العالمية الثانية .

وهكذا يتضح بأن أعمال القمع والاعتقال والاضطهاد والتعذيب التي واجهت بها فرنسا الثورة الجزائرية، لم تكن محصورة في أرض الجزائر فحسب، بل إنها قد مست الجزائريين حتى في أرض فرنسا وفي باريس نفسها (مدينة النور والمدنية والديمقراطية)، ذلك أن الجزائري أو "الأهلي" حسب التعبير الاستعماري، يظل هو هو، سواء أكان في الجزائر أو في باريس، محل الريبة وعرضة للاتهام، و بأقل شبهة يسجن ويهان و داس كرامته.

[1]- البصائر، العدد 324، 25 جوان 1955، ص5.

خاتمة

لم يقتصر نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، التربوي والتعليمي، على القطر الجزائري، بل امتد أيضا إلى خارج الوطن خاصة فرنسا التي كانت تقيم جالية جزائرية معتبرة ظل عددها يتزايد مع مرور الوقت، وعلى الرغم من أهمية هذا الموضوع فإنه لم يأخذ حتى الآن حظه من الدراسة، إذ ظل مظلوما من صنفين من الباحثين. الصنف الأول هم الذين تناولوا في أبحاثهم جمعية العلماء ودورها في ميادين التربية والتعليم والإرشاد والتوعية الوطنية، فقد اكتفى بعض هؤلاء بإعطاء صورة موجزة ومقتضبة عن نشاط العلماء في فرنسا، بينما لم يتطرق الآخرون إطلاقا لهذا النشاط.

والصنف الثاني من الباحثين هم أولئك الذين اقتصروا في تناولهم للموضوع على نشاط حزب نجم شمال إفريقيا، ثم سليليه حزب الشعب الجزائري وحزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية وسكتوا، أو بالأحرى، تجاهلوا الدور الذي اضطلعت به جمعية العلماء والجهود التي بذلتها في المجال التربوي من أجل النهوض دينيا وثقافيا وأدبيا بهذه الفئة من أبناء الجزائر الذين اضطرتهم الظروف إلى التروح من بلادهم والإقامة في بلاد أوربية مدة قد تطول أو تقصر، وعلى ضوء دراستنا لنشاط جمعية العلماء في فرنسا يمكن أن نسجل الاستنتاجات التالية:

- إن بداية نشاط جمعية العلماء في فرنسا كانت في سنة 1936م، أي بعد أن اشتد ساعد الحركة الإصلاحية في الجزائر وعم نورها مختلف طبقات الأمة. على أن اهتمام العلماء بأمر الهجرة والمهاجرين إلى فرنسا يعود إلى فترة سابقة لهذا التاريخ، فقد كتب ابن باديس في بداية العشرينات عن دوافع هذه الهجرة، وما اكتنفها من ظروف الحاجة والتماس الرزق، وكان من الجزائريين الأوائل الذين نددوا عبر الصحافة بالإجراءات الفرنسية التي حاولت التضييق على العمال الجزائريين ومنعهم من التنقل إلى فرنسا من أجل العمل.

- خلال فترة نشاطها بفرنسا، والتي امتدت على مدى ما يقارب العشرين سنة ، أنشأت جمعية العلماء نوادي للتهذيب في الكثير من المدن الفرنسية التي تمركز بها المهاجرون الجزائريون بكثرة، جعلت منها مدارس التعليم الأبناء وإرشاد الآباء، بهدف الحفاظ على عقيدة ووطنية الجميع،

ووقايتهم من الاندماج والذوبان في الوسط الفرنسي، حتى لا تضيع على الوطن فئة من أبنائه هو أحوج ما يكون إليها في مواجهة الاستعمار.

– لقد نجحت الجمعية نجاحا عظيما في لم شمل الجزائريين في ديار الغربة ، وإيقاظهم من سباتم، وتوجيههم إلى العمل المفيد لهم ولأسرهم ووطنهم، وهذا بعد أن تمكنت من جذب الكثير منهم من المقاهي والحانات ومواطن اللهو والفجور. ولعل من دلائل هذا النجاح، الإقبال العظيم من قبل أفراد الجالية الجزائرية على الدروس والمحاضرات والاحتفالات التي تقيمها الجمعية في نواديها، وكذا قيام هذه الحالية بحاج ات النوادي المادية والتنظيمية.

– إن إشعاع حركة العلماء بفرنسا لم يقتصر على الجالية الجزائرية فحسب، بل عم الجاليات الإسلامية المقيمة في فرنسا على اختلاف أوطانها، فقد شعر المسلمون هناك أنهم في وسط إسلامي عربي، وتحقق في نوادي العلماء معنى الوحدة والأخوة الإسلامية. وقد ساهم بعض الطلبة والعلماء العرب في نشاط النوادي بفعالية.

– إن نشاط جمعية العلماء في فرنسا يعتبر تجربة دعوية إسلامية فريدة من نوعها في الديار الأوربية آنذاك، وربما لا نكون مبالغين إذا قلنا بأن الكثير من الدول العربية والإسلامية الم تستطع بعد استقلالها أن تقدم لجالياتها المقيمة في الغرب في مجال الثقافة والإرشاد مثل ما قدمته جمعية العلماء للجالية الجزائرية في ذلك الوقت. وهذا يدفعنا للقول أن هذه الغزوة الثقافية)لو توفرت لها إمكانات أكثر، وامتدت لسنوات أخرى لكان لها أعظم الأثر في تاريخ فرنسا، ومستقبل الإسلام فيها.

تلك إذن هي نقاط البحث الأساسية التي اجتهدت في إبرازها.

- في الأخير أقول إن دور جمعية العلماء في أوساط الجزائر يين بفرنسا لا يمكن لباحث منصف إلا أن يسلم به، وهو دور لا يقل أهمية - في رأيي- عن ذلك الذي قامت به الحركة الوطنية السياسية، لذلك فإن تجاهل هذا الدور أو السكوت عنه يعد - بحق - إجحافا في حق حركة عملت بإخلاص وقدمت الكثير في سبيل الدين والوطن، وإلغاء لصفحة مشرقة من صفحات جهاد شعب قدم الكثير، وفي كل الجبهات، في سبيل الحفاظ على شخصيته واستعادة حريته المسلوبة. والذي يراجع هذا البحث المتواضع سوف يدرك أن ما ذهبنا إليه هنا ليس مجرد ادعاء.

الملاحـــــق

الأستاذ محمد صالح البلاوي　　الأستاذ الفضيل حمدين الورتلاني

ننشر هذا الرسم اللطيف لها تقديرا وابتهاجا بما يبذلان من جهد وجهاد — في الله — لبث المعارف والتهذيب في أوساط اخواننا المسلمين بباريس وضواحيها

صور معتمدي جمعية العلماء في ورنسا

الأستاذ عبد الرحمان اليعلاوي

الشيخ الفضيل الورتلاني مفتش جمعية العلماء بباريس

الشيخ سعيد البياتي

الشيخ الربيع بوشامة

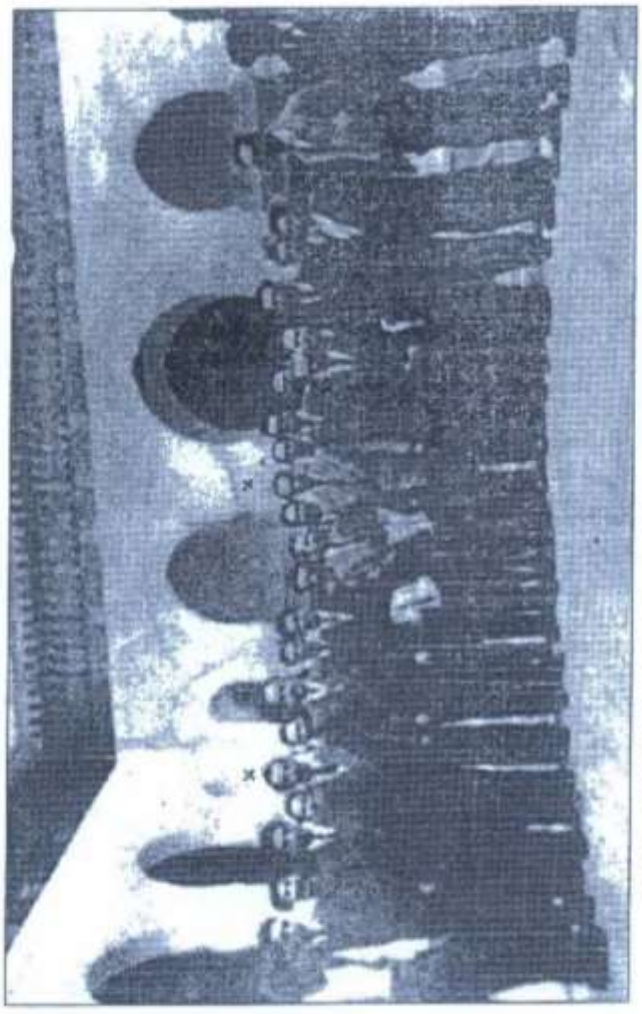

صورة تذكارية اخذت بساحة مسجد باريس سنة 1952 لمجموعة من شباب الجزائر العاصمين بالشعبة المركزية لجمعية العلماء، من بينهم الشاعر الشعبية الشيخ الربيع بوشامة رئيسها، والسيد الطاهر معي بشير، والصفيد د/ أسعد علي اليسار.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المراجع:

1- الكتب:

1. احمد توفيق المداني ، حياة كفاح (مذكرات) ، دار البصائر للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ج2 ، 2009

2. أحمد حماني، صراع بين السنة والبدعة، ج2، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، ط1، 1984

3. احمد مريوش ، محاضرات في تاريخ الجزائر ، 1900-1954 ،مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع ، ج2، ط1، 2013

4. بشير بلاح ، تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1989 ، ج1، دار المعرفة ، 2006

5. بنيامين سطورا ، مصالي الحاج 1898-1974، رائد الوطنية الجزائرية، ترجمة صادق عماري، مصطفى ماضي، دار القصبة، الجزائر، 2007.

6. [1]بوالصفصاف عبد الكريم، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، ط1، 1981

7. الجلالي صاري ومحفوظ قداش ، الجزائر في التاريخ ، المقاومة السياسية 1900-1954 ، الطريق الاصلاحي والثرة ، ترجكة عبد القادر بن حراث ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1987 م .

8. د. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج8، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1، 1998

9. د. أحمد صاري، شكيب أرسلان والحركة الوطنية الجزائرية، دراسة منشورة في كتابه شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، ط2004.

10. د.جمال قنان،ديوان الشهيد الربيع بوشامة(جمع وتقديم)، المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1994

11. رابح تركي ، التعليم القومي والشخصية الجزائرية بين 1931-1956 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط2 ، 1981.

12. رابح تركي ، الشيخ عبد الحميد بن باديس ، رائد الاصلاح الاسلامي والتربية في الجزائ ، المؤسسة الوطنية للاتصال النشر والاشهار ، ط 5 ، 2001

13. الزبير بن رحال ، عبد الحميد بن باديس ، رائد النهضة العلمية والفكرية 1989-1940 ، دار الهدى ، الجزائر ، 1997

14. سعد الله، الأمير شكيب أرسلان والقضية الجزائرية، دراسة منشورة في كتابه: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1996.

15. سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط3، 1986.

16. شوقي عبد الكريم ، دور العقيد عميروش في الثورة الجزائرية، دار هومة، الجزائر،2004

17.الشيخ عبد الرحمان شيبان، المقدمة التي كتبها لطبعة "الشهاب" التي أنجزها دار الغرب الإسلامي، بيروت 2001.

18. عبد الحفيظ أمقران، مذكرات من مسيرة النضال والجهاد، دار الأمة، الجزائر، ط1، 1997

19. عبد الحفيظ أمقران، المرحوم الفضيل الورتلاني عبر المقاومة الوطنية الى ثورة التحرير الوطني1900-1959، الثقافة، العدد100،سنة1988

20. علي مراد ، الحركة الاصلاحية الاسلامية في الجزائر ، دار الحكمة للطباعة والنشر والترجمة، الجزائر ، 2007

21. عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، دار الغرب الاسلامي، ط2، 2005.

22. ابو القاسم سعد الله، الحركة الوطنيـــة 1930-1945، دار الغـــرب الاســـلامي، بيروت، ج3، ط4، 1992

23. آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج4(1952-1954)، جمع وتقديم نجله: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت،ط1 ،1997

24. أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين واثرها الاصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985.

25. محمد خير الدين، مذكرات، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب.

26. د.مولود عويمر، التجربة الدعوية لجمعية العلماء المسلمين بفرنســـا 1936-1956، مجلة تعارف، العدد الأول، 2003

27. عمار طالبي ، ابن باديس حياةوآثاره ، دار الغرب الاســـلامي ، بـــيروت ، ج1 ، 1983

28. الفضيل الورتلاني، الجزائر الثائرة، دار الهدى، عين مليلة الجزائر، 1992

29. مالك بن نبي ، وجهت العلم الاسلامي ، ترجمة عبد الصبور شـــاهين ، دار الفكـــر الجزائر دمشق، ط5، 1986.

30. محمد الحسن فضلاء، من أعلام الاصلاح في الجزائر ج1، مطبعة دار هومة، الجزائـــر، 2000م

31. محمد الصالح بن عتيق، أحداث ومواقف في مجال الدعوة الاصلاحية والحركة الوطنية الجزائرية، الجزائر، منشورات دحلب، 1990،

32. محمد الصالح بن عتيق ،أحداث ومواقف في مجال الدعوة الاصلاحية والحركة الوطنية بالجزائر، مطبعة دحلب، الجزائر، 1990

33. محمد خير الدين ، مذكراته، المؤسسة الوطنية للكتاب، ج1

34. محمد خير الدين، مذكرات، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،

35. محمد قنانش، ذكرياتي مع مشاهير الكفاح، دار القصبة، الجزائر، ط2007.

36. مصالي الحاج، مذكرات 1898-1938، ترجمة محمد المعراجي، منشورات المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، ط2007

37. يحى بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج1، دار الغرب الإسلامي، ببيروت، ط1

2- الجرائد والمجلات:

38. الأمة، العدد 140، 9 أكتوبر 1937،

39. البصائر، العدد 72، 25 جوان 1937م.

40. البصائر، العدد 1، 25جويلية 1947

41. البصائر، العدد 143، 19فيفري 1951

42. البصائر، العدد 64، 23 أفريل 1937.

43. البصائر، تقرير عن حالة العمال الجزائريين بباريس، العدد173/172، 15أكتوبر 1951.

44. أحمد بن عاشور، الشاعر مبارك بن جلواح وجمعية التهذيب، البصائر، العدد65، 31جانفي 1949.

45. الاصلاح، العدد20، 13مارس 1940.

46. البصائر، العدد 66، 7 ماي 1937.

47. الأمة، العدد 140، 9 أكتوبر 1937.

48. بشير ازمران، أعمال جمعية العلماء وراء البحار، البصائر، العدد237، 17جويلية 1953.

49. البشير الإبراهيمي، التقرير الأدبي لجمعية العلماء، البصائر، العدد173/172، 15أكتوبر 1951.

50. البشير الإبراهيمي، حركة جمعية العلماء بباريس، البصائر، العدد 148، 26 مـــارس 1951.

51. البشير الإبراهيمي، رحلتنا إلى باريس، البصائر، العدد136، 8جانفي1951

52. البشير الإبراهيمي، رحلتنا إلى باريس، البصائر، العدد 136، 8 جانفي 1951

53. البشيرالابراهيمي، البصائر، العدد 173/172، 15 أكتوبر1952

54. البصائر، العدد93، 31ديسمبر 1937

55. البصائر، العدد 127، 19 أوت 1938

56. البصائر، العدد114، 20ماي 1938.

57. البصائر، العدد65، 30أفريل 1937.

58. البصائر، العدد 148، 26 مارس 1951

59. البصائر، العدد 185، 24 مارس 1952

60. البصائر، العدد 213، 116 جانفي 1953

61. البصائر، العدد 22، وفيفري1948.

62. البصائر، العدد 237، 17 جويلية1953.

63. البصائر، العدد 238، 31 جويلية 1953

64. البصائر، العدد 273، 28 ماي 1945.

65. البصائر، العدد 278، 9 جويلية 1954.

66. البصائر، العدد 305، 11 فيفري 1955.

67. البصائر، العدد 65، 13 جانفي 1949.

68. البصائر، العدد 77، 30 جويلية 1937.

69. البصائر، العدد:132، 23 سبتمبر 1938م.

70. البصائر، العدد100، 18 فيفري1938.

71. البصائر، العدد101، 25فيفري1938.

72. البصائر، العدد103، 11مارس 1938

73. البصائر، العدد167، 26ماي، 1939.

74. البصائر، العدد185، 24مارس 1952

75. البصائر، العدد64، 23أفريل1937،.

76. د. مولود عويمر، التجربة الدعوية لجمعية العلماء المسلمين بفرنسا، مجلة تعارف، العدد الأول، 2003،

77. الشهاب، ج2، م13، أفريل 1937.

78. علي مرحوم، مواقف من جهاد الشيخ الفضيل الورتلاني، الثقافة، العدد 34، أوت-سبتمبر 1976.

79. عمر بهاء الأميري، احياء ذكرى المولد الشريف في باريس، الفتح، العدد553،ربيع الثاني 1356ه./1937.

80. عمر بهاء الأميري، رابطة شباب محمد صل الله عليه وسلم، مجلة" الفتح" العدد577، 2رمضان1356ه./1938م

81. الفتح، العدد 553، العام الثاني عشر، ربيع الآخر، 1356هـ./1937م ،.

82. الفتح، العدد 603، العام الثالث عشر، 26 ربيع الأول 1357هـ، /1938م

83. الفضيل الورتلاني ، بصائر، العدد49، 1جانفي1937

84. مجلة الشهاب، ج9، م12، ديسمبر1936

85. محمد البشير الابراهيمي، عيون البصائر 02، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر

86. محمد الزاهي الميلي، أربعون يوما في الطريق من باريس إلى قسنطينة، الحلقة الرابعة، البصائر، العدد 127، 19 أوت 1938.

87. محمد الزاهي الميلي، مهرجان عظيم في نوادي العلماء بباريس: البصائر، العـــدد 77، 30 جويلية 1937.

88. محمد الصالح رمضان، جمعية العلماء ودورها العقائدي والاجتماعي والثقـــافي، مجلـــة الثقافة، عدد 83، سبتمبر / اكتوبر 1984.

89. مد الهادي الحسني، الإمام محمد البشير الإبراهيمي رئيسا لجمعية العلمـــاء المســـلمين الجزائريين، الموافقات، الجزائر، العدد الرابع، جوان 1995.

90. النجاح، العدد 2212، 12 نوفمبر 1938.

91. نصر الجويلي، جمعية العلماء المسلمين بين الدين والسياسة، المجلة التاريخيـــة المغربيـــة، العدد 15، تونس، جوان 1988

92. د.محمد فاضل الجمالي، الشيخ البشير الإبراهيمي كما عرفته، الثقافـــة، العـــدد87، الجزائر، مايو/يونيو 1985، ص123.

3- مراجع أجنبية:

1. Ali BOUTEKADJIRT :La vie de cheikh Saïd El-Bibani,(htt: //el-bibani-blogspot.Com/),3 Février 2008.
2. Aouimer:op.cit, p.38. (rapport de ppp, 28 Novembre 1936).
3. AOUMEUR: L'ation de l'association des oulémasAlgériensen France, op.cit. (selon le rapport de la prefecture de police de paris (ppp) du 27 aout 1936).
4. La Défande: N^0 191, 25 Mai 1938.
5. La Défense : N^o136, 12janvier1937.
6. La Défense : N^o144, 9avril 1937
7. La Défense : N^o144, 9avril 1937, p2, N^o164. 10october1937.
8. La Défense : N^o190, 18Mai 1938.
9. La Défense :N^o164, 10Octobre 1937.
10. La Défense :N^o179, 23Février 1938
11. La Défense:N^o145, 18Juin 1937

12. La Lutte Sociale : N°130, 22Juillet 1938.
13. La lutte sociale :N°100 , 5juin 1938.
14. Le JeuneMusulman: N0 28, 12 mars 1954

ملخص الدراسة

ملخص الدراسة:

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تيار إصلاحي اجتماعي ركزت جهودها على الدفاع عن الشخصية الجزائرية وعروبتها وإسلامها والمحافظة على الدفاع عن الشخصية الجزائرية وعروبتها وإسلامها والمحافظة على قيمتها الروحية والتاريخية فتعددت ميادين الإصلاح عندها لتشمل عديد المجالات.

ففي المجال الديني أدركت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الأهمية القصوى التي تمثلها العقيدة في حياة الأفراد وكذلك المجال الثقافي والاجتماعي عملت على مقاومة الأمية ومحاربة الآفات الاجتماعية وفي المجال الاقتصادي أظهرت الجمعية اهتمامها بالجانب الاقتصادي وذلك لتحقيق الاستقلالية الاقتصادية للشعب الجزائري، أما بالنسبة للمجال السياسي خاضت عديد من القضايا السياسية منها مقاومة سياسة التجنيس والإدماج وغيرها، مستعينة ببعض الوسائل لتسهيل وتحقيق أهدافها والعمل على إنشاء نوادي وحركات كحركة التهذيب وكل هاته الحركات الإصلاحية بفضل بعض الشخصيات الثورية الجزائرية من بينها الابراهيمي وبن باديس والطيب العقبي والشيخ مبارك الميلي وكذلك يعود الفضل للناشطين هناك، إلا أن الجمعية واجهت ردود فعل من قبل السلطات الاستعمارية الفرنسية بعد ما كان لها صدى على الصعيد الداخلي وكذلك الدول العربية وتأثيرات في الأوسط، لقد كانت دعوة ابن باديس وجمعية العلماء صريحة في التخطيط وللانتشال الأمة الجزائرية من الوضعية المزرية التي آلت إليها جراء محاولات الهدم الاستعمارية التي فرضت عليها وكان ذلك بمثابة الأرضية التي تشكلت عليها ملامح النضال السياسي والعسكري الذي مارسه الجيل في تفجير الثورة التحريرية الكبرى التي حررت الوطن والشعب من سجن الاستعمار الفرنسي البغيض.

ملخص الدراسة باللغة الأجنبية:

The Association of Algerian Muslim Scholars (Ulama) is an educational ،social and reformative movement. It focused on defending the Algerian identity and religion in addition to protecting the spiritual and historical values by using differentways to reach reconstruction in all domains.

The Ulama was aware about the importance of Islam of the Algerian society and in the individual s life mainly ،hence Islam was the starting point of change. Concerning the cultural and social sides ،The Ulama fought illiteracy and other social problems, besides it worked hard to educate children ،took care of them and women. In the economic side ،the association gave birth to professional associations for example Muslim's Trade Association and the Economic Association in order to realize the economicindependence for the Algerian population.As far as the political side is concerned ،the association worked on many political issues although it had no business on them for instance it rejected the "Algeria is a French country belief".The scholars of this association and their leader IbnBadis were doing their best tobetter up the Algerian society this lead to the appearance of political and military fight against the enemy ،in return it lead too to the greatest revolution which regained our independence

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الإهداء	
التشكرات	
المقدمة	أ
الفصل الأول: تأسيس الجمعية وأهدافها ومبادئها والمجالات والوسائل التي استعانت بها الجمعية لتحقيق أهدافها	
أولا: تأسيس الجمعية	05
ثانيا: أهداف الجمعية	06
ثالثا: مبادئ الجمعية	07
رابعا: مجالات عمل الجمعية	08
المجال الديني	08
تطهير الإسلام مما علق به من الشرك والبدع والخرافات	09
محاربة الزوايا والطريقة المنحرفة	10
محاربة حركة التبشير المسيحي	10
المطالبة بفصل الدين عن الدولة	11
المجال الثقافي والاجتماعي	11
المجال الاقتصادي	13
المجال السياسي	15
خامسا: الوسائل التي استعانت بها الجمعية لتحقيق أهدافها	16
الفصل الثاني: جهود الجمعية قبيل الحرب العالمية الثانية وأثنائها	
أولا: الحركة الدعوية: حركة التهذيب بفرنسا واهتمام جمعية العلماء بها	19
إنشاء جمعية نادي التهذيب بباريس	19
توسيع الحركة واهتمام جمعية العلماء بها	21
ثانيا: الحركة الإصلاحية	23
التربية والتعليم	23
الوعظ والإرشاد	25
احياء المناسبات الدينية	26
ثالثا: ردة فعل السلطات الإستعمارية	28
النشاط السياسي	28
المشاركة في النشاطات المختلفة	31

النشاط الإعلامي	33
إغلاق النوادي أثناء الحرب العالمية الثانية	33
رابعا: تراجم لأبرز الناشطين في فرنسا في مرحلة 1936-1940	34
الفضيل الورتلاني	34
سعيد صالحي	36
مبارك جلواح	38
محمد الصالح بن عتيق	40
الفصل الثالث: نشاط جمعية العلماء المسلمين بعد الحرب العالمية الثانية (1946-1954)	
أولا: محالة إحياء الحركة الدعوية من جديد	43
تجديد اهتمام الجمعية بالجالية الجزائرية بفرنسا	43
إنشاء الشعبة المركزية بباريس	44
رحلة الإبراهيمي والتبسي إلى باريس (1950م)	46
الإبراهيمي في باريس ثانية (1951-1952م)	47
ثانيا: الطور التنظيمي والنشاط الحقيقي (1952-1954م)	50
تنظيم الحركة	50
أهم نشاطات الحركة في هذا الطور	51
2-1 النشاط التنظيمي	51
2-2 التعليم والإرشاد	52
2-3 إحياء المناسبات الدينية والوطنية	53
2-4 دور الجمعية في محيطها السياسي والاجتماعي	54
ثالثا: انخراط الجمعية في العلم الثوري	56
اندلاع الثورة الجزائرية ومصير الحركة	56
رابعا: تراجم لأبرز الناشطين في فرنسا في مرحلة (1946-1954م)	58
عبد الرحمان اليعلاوي	58
الربيع بوشامة	59
الفصل الرابع: نشاط الجمعية وردود الفعل المختلفة	
أولا: تأثير الجمعية في فرنسا	63
في الجالية الجزائرية	63

في الجاليات العربية والإسلامية بفرنسا	66
في الوسط الفرنسي	68
ثانيا: مساهمة نشاط الجمعية في ربط الجزائر ببعدها العربي	69
أصداء النشاط في الجزائر	69
أصداء النشاط في العالم العربي	71
ثالثا: مواقف القوى السياسية الموازية والسلطة من هذا النشاط	74
مواقف بين نجم شمال إفريقيا والجمعية	75
موقف حركة الانتصار للحريات الديموقراطية	79
موقف أنصار الطرق الدينية	81
مواقف مسجد باريس	82
موقف السلطات الفرنسية	84
5-1 في المرحلة الأولى	84
5-2 في المرحلة الثانية	88
خاتمة	91
الملاحق	95
قائمة المراجع	99
ملخص الدراسة	
فهرس المحتويات	